المورد

رحـــلة

المواطن العراقي « إليـاس الموصلي »

أول سـائح عـربي يصـــل الأميركتين

اخـــراج

ابتهاج عمر طاهر الراضي

بينما كان زوجي الدكتور سامي سعيد الاحمد يحاضر في جامعة واشنطن بالولايات المتحدة في شباط ١٩٧٣ جلب الدكتور فرحات زيادة رئيس قســـم الدراسات الشرقية بتلك الجامعة نظره ، الى حقيقة كون اول سائح وصل اميركا من الشرق (آســـيا وافريقيا) هو عراقي من مدينـــة الموصـــل ، وان مذكراته عن تلك السفرة قد حققها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرها في سلسلة مقالات بمجلة المشـرق اللبنانية(١) . واهتـم زوجي بالموضـــوع فتـــرجم المقالات المذكورة الى اللغة الانكليزيـــة . واسترعت ترجمته اهتمام صديقه الاستاذ المكسيكي الدكتور انطون لويرا من قسم الدراسات الاسبانيةوالبرتغالية بجامعة كاليفورنيا ــ لوس انجيلوس الذي ينكب الان على مطابقة ما جاء برحلة السائح العراقي مـــع جغرافية واحوال المناطق التي زارها حاليا وما كتبه الرحالة الاسبان والبرتغال الاوائل عنها . وســـوف تظهر الترجمة والدراسة في الولايات المتحدة قريبا . وولعت أنا بالموضوع اشد الولع فجمعت ما تمكنت من جمعه عن السائح وعائلته وحياته واسفاره وان لم يكن كثيرا . وفي هذه الدراسة سوف اقدم ماتيسر لي الحصول عليه من معلومات تتعلق به ، مع النص الكامل لهذه الرحلة الشـــاقة مثقلة بالشـــروح والتعليقات التي تركها المحقق الاب رباط .

فالسائح نفسه خوري انحدر من عائلة دينيـــة فقد كان والده قسيسا . وهو الياس بن حنا ويسمي نفسه الموصلي الكلداني وينحدر من عائلة بيت عمودة ويظهر ان عائلته كانت تتنقل بين الموصل وحلـــب حيث كان يطيب له الاقامة في حلب كثيرا وله اقارب فيها واصدقاء ، ولم اتمكن من الحصول على اية معلومات اخرى عن افراد عائلته سوى ان له ابن اخ يدعى يونان يخبرنا هو عنه في رحلته انه قد اكمل في سنة ١٦٧٠ تحصيله الديني في روما وقفل راجعا الى حلب . ويظهر ان الياس تبوأ مركزا مرموقا في الكنيسة الكاثوليكية بدليل ما انعمت عليـــه مـــن الالقاب الدينية الكثيرة امثال روتونو تاريو رســـولي Protonotarius Apostolius وحامل صليب مار بطرس Stauropborus d. Petri ثم كونت بالاتينـــو وكاهن كنيسة ملك اسبانيا . وعينته الكنيسة مشرفا على كنيسة بغداد الكاثوليكية .

ونعرف من كتابه هذا انه كان مؤمنا حريصا على اتباع تعاليم دينه ، وذا شخصية محبوبة قليل الخبرة والمعرفة باللغة العربية ضعيف الانشاء لـذا جاء اسلوبه ركيكا حافلا بالكلمـــات الدارجـــة والاصطلاحات المتعارف عليها آنذاك في اللغتـــين التركية والفارسية . وقد جاء في كتابه عن سياحته الكثير من الاخطاء النحوية والتي يقول المحقق انـه اصلح الفاحشة منها . ونرى تدينه وتقواه ينعكس في كتاباته فهو يفسر الكثير من الاحداث تفســـيرا تافها يدل على مدى بساطته وســـذاجة تفكيره .

---

(١) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة اول سائح شرقي الى اميركه ، المشرق ، المجلد الثامن (١٩٠٥) ص ٨٢١ ــ ص ٨٣٤ ، ٨٧٥ــ٨٨٦ ، ٩٢١ــ٩٤٢ ، ٩٧٤ــ٩٨٣ ، ١٠٢٢ــ ١٠٣٣ ، ١٠٨٠ــ١٠٨٨ ، ١١١٨ــ١١٢٩ .

والمخطوطة الاصلية التي حققها الاب رباط بطول ٣١ سم وعرض ١٥ سم وبكل صفحة ٢١ سطرا وهي تقع في ٢٦٩ صفحة . ونحن سنكتفي بالمائة صفحة الاولى منها فقط والتي تتعلق بوصوله الى اوربا وسفرته الى الامريكتين (اميركا الجنوبية والوسطى والقسم الجنوبي من الولايات المتحدة) . اما الصفحات ١٠١ ــ ٢١٤ فيتحدث فيها المؤلف عن اكتشاف اميركا واخبار شعوبها وحكامها ثم العاديات والآثار والكنائس المسيحية فيها . والقسم الاخير من ص ٢١٤ ــ ص ٢٦٩ خصه المؤلف برحلة سعيد باشا سفير الدولة العثمانية الى فرنسا في سنة ١١٣٢هـ (١٧١٩) . علما بأن الكتابة ليست بخط المؤلف ولم يذكر ناسخها اسمه ولا تاريخ استنساخه لها من النص الاصلي للرحلة .

وبدأ الخوري الياس سفرته التي استغرقت خمس عشرة سنة في سنة ١٦٦٨ عندما غادر بغداد الى القدس للزيارة ومن ثم سافر الى حلب حيث بقي بها فترة من الزمن ثم غادرها الى الاسكندرونه التي أبحر منها الى البندقية وفرنسا واسبانيا والبرتغال وصقلية . وفي سفرته الثانية الى اسبانيا تمكن من الحصول على سماح خاص من الجهات العليا للسفر الى اميركا . ويظهر انه لم يكن ليسمح بدخول تلك المناطق (الاميركيتين) لاحد الا بأذن من ملك اسبانيا . وفي طريقه الى القارة الجديدة مر في جزر الخالدات (الكناري) ومنها سارت بهم السفن الى اميركا الجنوبية ، واستغرقت تلك الرحلة خمسة وخمسين يوما . وقد زار السائح العراقي في تلك القارة بعض أجزاء بناما وكولومبيا وبيرو وبوليفيه وشيلي . وبقي في بيرو مدة من الزمن أنهى خلالها كتابة القسم الاول من مذكراته عن سفرته ومشاهداته في اقاماته ، ثم خرج الى المكسيك (التي يسميها ينكي دنيا) مارا بالاجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة الحالية . وترك المكسيك سنة ١٦٨٠ عائدا الى اسبانيا فروما حيث قابل فيها البابا اينوسنسيوس (انوسنت) الحادي عشر (١٦٧٦ ــ ١٦٨٩) الذي أكرم وفادته(٢) . ويظهر انه قد جمع أموالا طائلة خلال سفرته هذه وسنعرف من خلال تفاصيلها انه تمكن ان يخرج كتابا وينفق على طبعه من ماله الخاص وهذا ليس بالامر الهين آنذاك دون شك نظرا لكون الطباعة في مراحلها الاولى واخراج كتاب يحتاج الى مبالغ طائلة من المال . ولا نعرف السنة التي توفي بها الخوري الياس ولكن يبدو انه كان حيا سنة ١٦٩٢ وهي السنة التي طبع بها كتابه حيث لم نقرأ فيه كون المؤلف ميتا وان كان قد وقف على طبعه صديقه عبيدالله اندروس ابن مقدسي عبدالله الكلداني الموصلي الساكن في حلب(٣) ويظهر القسم الثالث من مخطوطته بانه بقي حيا الى ما بعد سنة ١٧١٩ بحيث كتب عن رحلة السفير العثماني الى فرنسا بتلك السنة ان لم يكن هذا القسم منسوبا الى الخوري الياس وهذا ما أرجحه انا على الاغلب وان لم يكن لدي دليل على ذلك(*) .

---

(٢) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة اول سائح شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٨ (١٩٠٥) عدد ١٨ ص ٨٢١ ــ ص ٨٢٣ .

(٣) الاب انطون رباط اليسوعي ، أثر جديد لاول رحالة شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٩ العدد العاشر (٩٠٦) ص ٤٧٠ ــ ص٤٧٤ . وذكر تفاصيل عن الكتاب الاستاذ شنورر Schnurrer في كتابه المكتبة العربية (بيبليوثيكا ارابيكا (Bibliotheca Arabica)) المطبوع في هالـه ــ بالمانيا سنة ١٨١١ .

(*) وهناك معلومات مستفيضة تناولت الياس الموصلي ورحلته ، يستطاع الوقوف عليها في الجزء الثاني من تاريخ الادب الجغرافي (الترجمة العربية) للمستشرق السوفيتي كراتشكوفسكي (المورد) .

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمته . واخترع الموجودات بامره وكلمته . وصور الانسان على شبهه ومثاله وسلطه على سائر المخلوقات بفضله وانعامه . ونهاه عن ثمر لا ياكله لئلا يموت جوعا . فهذا المخلوق الضعيف لما خالف امر خالقه واكل من المنهي عنه تجرد من النعمة التي كان متسربلا بها وصار مطرودا مع ذريته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن . الى ان تحنن عليه سبحانه وتعالى وشاء اعتاقه فارسل ابنه الحبيب الاقنوم الثاني وكلمته الازلية الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحل في احشائها حلولا لا يدرك ولبس منها جسدا كاملا وصار انسانا ما خلا الخطيئة وتردد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثم اختار له تلاميذ اناسا سذجا صيادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلا لهم (متى ٢٨ : ١٩) : اعضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وقال لهم ايضا (متى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم ايضا عند صعوده انه يرسل لهم الروح المعزي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعوده وجلوسه عن يمين الآب ارسل لهم الروح البارقليط فحل عليهم كالسنة نار فصاروا يتكلمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقوم منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسمعت اصواتهم في اقطار المسكونة كانوا عائرين منضافين مطرودين محتورين لابسين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان واختاروا لهم تلاميذ واخلافا وخولوهم تلك المواهب وانعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلا بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين .

فاما الكنيسة المقدسة عروس السيد المسيح التي جعل مار بطرس الصخرة راسها ومدبرها من بعد صعوده المجيد . ومن بعده للذين يخلفونه فلم تزل تمتد اطنابها وتتوسع اكنافها حتى انه لم يخل مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرقة . واما القمين التلاب . عدو الخير والثواب . فلم يزل مجتهدا ومحترسا على تزعزع ضمائر المؤمنين حتى يطفيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكه وفخاخه وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانية ورئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادين بعضهم بعضا حتى انه تبارك وتعالى سلط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيله المقدس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبا اليهود قائلا(١) : اذا رايتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اولين . فلما تفرقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم اناسا مختلفي الاجناس والطباع . غربيي الالسن واللغات فاطنين في البراري والجبال ساكنين بعيشة وحشية لا فرق بينهم وبين البهايم معذبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقوم منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيا عن الابصار ومستورا عن الافكار حتى ان القديس العظيم معلم الكنيسة المقدسة مار اغسطينوس كان يظن ان هذا الاقليم هو غير مسكون من البشريين . فسبيلنا ان نبرهن ونبين رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حسبوا من جملة القديسين . واما هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنه فهو ممتد الطول والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الاخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولا وعرضا وقد جعلوا له اسما جديدا وسموه ميريكا مسلوبا(٢) وسوف نتكلم عنه في مكانه ونحرر سبب كشفه وبيانه ونرقم كل شيء في حينه واوانه . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لان ذلك يوجد في كل انسان ؛ لله دائما الى الابد .

١ ـ من بغداد الى البندقية :

فاقول انا الحقير في الكهنة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدا زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمى ميخائيل آغا(٣)

(١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأ . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف ب ع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف .

(٢) بقوله ان « اسم امركه مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفه كان حقه أن يسمى باسم مكتشفه كريستوف كولومبس . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمه اميريكو من ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخص تلك الارض وهنودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذ سميت تلك الارض ميريكا ... وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانه كان المبتدىء والمجتهد في هذا الامر . لكن بعدما انتشر هذا النكتي في افواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعا لم يكن ممكنا ان يتغير فبقيت تسمى ميريكا » .

(٣) هو مخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدبر الطوبخانات الشاهانية في الشام وحلب وبغداد ...الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بأمر الحكومة السنية ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مرارا المرسلون في رسائلهم لما كان عليه من الثبات في الدين الكاثوليكي والغيرة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبية وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة . وقد ذكره بالثناء مرارا الاب يوحنا اميو Amieu وليس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ والمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لمخائيل آغا أولاد وكل بهم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق ليتلقنوا منه التعليم المسيحي والعلوم الادبية ويدرسوا اللغة اليونانية

ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينا لصوص مقدار مائة نفر وصار بيننا حرب خطفونا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفسا . لكن بقوة آلات الحرب من التفنك(٤) انتصرنا عليهم . ومن هناك اخلنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرفت بزيارة تلك الاماكن المقدسة .

ثم ذهبت الى مدينة حلب . وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس عازار واخته مريم ومرتا(٥) ومن هذه الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزنا على جزيرة قريطش التي تسمى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البندقة مع جزيرتين اخريين قريبتين منها تسميان كورفو وسافولونية وهما ايضا في حكم البندقية التي تسمي باللسان التركي واناديك(٦) المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا .

وبعد ايام عبرنا الى ميناء البندقية المذكورة . وكانت عدة الايام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوما من خروجنا من اسكندرونة الى ان دخلنا الى هذا الميناء(٧) ثم اخرجونا من

التي كان يلقنها عندئذ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين .

(٤) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى استعمالها باللغة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة أو البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان .

(٥) يعرف القراء ان مكان قبر مريم المجدلية ومرتا ولعازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حله فالفرنساويون وسكان اقليم بروفنسة خاصة يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قلة يحج اليها الزوار متبركين وهي قلة سنت بوم (Sainte-Beaume) اما سائر المؤرخين لاسيما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يثبت بها الفرنسويون تقليد يعزونه الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيه ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلا عن تقليد قديم ان لعازر ومرتا ومريم دفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الرأي استنادا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيسان ١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في اس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحالتنا يذهب مذهبا آخر يتناقله اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرمون قبر القديس العازر في كنيستهم الكبرى . والله اعلم بالصواب .

(٦) واناديك اسم البندقية او فينيسية باللغة التركية .

(٧) كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع راسا المسافة بين اساكل سورية والبندقية بثلاثين يوما وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر أو عشرين يوما اذا ساعدتهم الريح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانيء جزائر البحر المتوسط كثيرا ما كانت تؤخر وصولهم الى شهرين أو اكثر .

المركب وجعلونا في بيت الحجر الذي يسمى نازاريت(٨) باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحدا واربعين يوما كالرسوم . وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفا من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوما اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستورا ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوما متنزها وزرت كنائسهم والفنى الذي نظرته في كنيسة ما رمرقس الانجيلي(٩) هو شيء لا يوصف .

ثم من بعد تلك الايام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستة اشهر وزرت الاماكن المقدسة خصوصا كنيسة مار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجت قاصدا بلاد فرنسة فمررت على ارض امير يسمى كران دوكه توسكانا(١٠) وهو ويسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدا ذو مال وخزائن ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد ايام قليلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاته . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال .

٢ ـ سياحته في فرنسة :

ومن هناك ايضا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثم خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا(١١) وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كلموا احدوها مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضد جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة .

ثم اني اجتمعت هناك مع رجل قديس يسمى موسيو

---

(٨) نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيه يقضي القادمون من البلاد الموبؤة حجرهم الصحي مدة اربعين يوما والكلمة مشتقة من اسم لعازر (Lazare) وبه سميت في الاجيال المتوسطة مآوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقية يدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماه المؤلف نازاريت لا لازاريت .

(٩) هي الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة في البندقية .

(١٠) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمه اذ ذاك الدوك فردينان الثاني (١٦٢١ ـ ١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاساكل في ذلك العهد .

(١١) مدينة اقينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنضس السادس من جنة ملكة صقلية وكونتس بروفنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيه الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدير شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسية فاغتصبها الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها .

بيكيت(١٢). فهذا الرجل الشريف كان سابقا قنصلا في حلب وبعد رجوعه من حلب ارتسم اسقفا على مدينة بغداد وكانت وفاته في العجم في بلد امادان(١٣) . وما لنا زمان لنتكلم عن فضائله وحسن سيرته . ثم بعد ايام خرجت من ليون وسرت الى مدينة باريس تحت ملك فرنسة فدخلتها ورحت زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم انيرز زرت اخاه امير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفا وقدست له في الكنيسة التي في سرايته . فاكرمني زائد الاكرام . ثم رحت زرت اميرا يسمى سانتينيان (St Aignan) ودفعت له مكتوبا كان اعطاني اياه عمه البادري هنا الراهب الكبوجي(١٤) الصالح الذكر الذي كان رئيسا في حلب فعمل لي عزا واكراما جزيلا لاجل وصية عمه البادري المذكور .

ثم اني نزلت في المكان وبقيت اتنزه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعمالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبة اهاليها للغرباء . وقد نظرت امورا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدة نساء عددهن سبع عشرة امراة من الاشراف بعضهن عذارى وبعضهن ارامل . اما العذارى فقد تزهدن من الدنيا وتركن كل نقدهن في الشركة المباركة وتسمى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (١٥) اعني مجمع الخيرات . هذا قد اسسوه من القديم . وايضا الارامل قد تركن مقتناهن في هذه الشركة . وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمنة عند اناس الربح(١٦) وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرة من المال . ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرة ويقسمن هذه الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضا على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضا ينقذن لبعض بنات فقراء ويزوجنهن من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثم وفيما انا هناك واذا الخبر قاصد من عند السلطان محمد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمى باللسان التركي والفارسي ايلجي(١٧) فانا رحت زرت هذا الايلجي عدة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر .

٣ ـ اسبانية ايطاليـــة :

ثم بعده خرجت من هناك قاصدا بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمى بونراس(١٨) ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطيء نهر كبير . وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضهما واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين(١٩) ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوما انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحد بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمى سان جوان دي لوا (St Jean de Lux) من حكم فرنسة .

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمى

---

(١٢) فرنسوا پيكه (François Picquet) ولد في ليون ٢٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلا لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقوية مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدته للكاثوليكيين نخص بالذكر ما صنعه لاقامة اندراوس بطرير كا كاثوليكيا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبه واكرامه لما ازدان به من السجايا . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفا على سزاربوليس Césarople ثم على بابل ونائبا رسوليا على العجم واختاره لويس الرابع عشر سفيرا له لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سورية ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همدان بايران في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياته باللغة الافرنسية

Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse)

(Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t.I. chez. A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co à Londres et Harrassowitz à Leipzig).

صفحة ٩٦ و ١٠٣ و ١٠٤ .. الخ) .

(١٣) يريد همدان من مدن ايران .

(١٤) هو الاب يوحنا دي سنت اينيان

(Jean-Baptiste de St Aignan)

الكبوشي كان مرسلا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة وكتب رسائل لاتزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها . ومن معاصريه الكبوشيين الفيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونظنه اخاه وقد وجدنا توقيعهما مرارا في الرسائل المقدمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسية مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنا بطرس والاب يوسف ملاك .

(١٥) هي جمعية راهبات المحبة التي اسسها القديس منصور دي بول فانتشرت في انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين .

(١٦) يريد المصارف .

(١٧) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس . مدة كان فيها المسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقا له .

(١٨) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطيء نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه .

(١٩) يشير الى الاشغال التي انجزت بأمر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر المتدين حول الارض المسماة « ما بين البحرين (Entre-deux-mers) » .

فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هناك قصدت بلدة تسمى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانية وعبرت على بلدة تسمى بورگوس (Burgos) ونظرت هناك ديرا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيه صليوت السيد المسيح الذي يسمى في اللسان السبنيولي كريستو ده بورگوس (Cristo de Burgos) (٢٠) ويظهر منه عجائب كثيرة وايضا نظرت هناك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني(٢١) الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (؟) وكتابة قبره باللسان الارمني . ثم من هناك سافرت وجزنا على مدن لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امراة الملك(٢٢) فيليبه الرابع لانه كان قد توفي الملك وخلف ابنا صغيرا يسمى كارلوا الثاني . ثم اني قدمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فامرت ان يعطوني الف غرش(٢٣) من حاكم سيسيليه والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرا على تحصيل الدراهم .

فخرجت من مدريد قاصدا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراگون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمى سراگوزا (Saragosse) حيث يتوج ملوك اسبانية ... حينئذ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرته فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدا البحر . فوصلت الى مدينة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منها في البحر مع جكتريات(٢٤) ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج وبقينا هناك خمسة وعشرين يوما بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لان المجاز من هناك خطر عظيم .

ثم بعد زمان نهار الاحد قدمنا واقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشماس يونان(٢٥) قد ختم قراءته في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزه المجمع المقدس من كتب واشياء اخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال له وي ارلي(٢٦) فقراه وجاوبني قائلا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش

(٢٠) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم .

(٢١) لا نعرف عن هذا الملك شيئا .

(٢٢) اي حنة النمساوية (Marie-Anne d'Autriche) امراة فيليبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنٍ اربع سنوات فقط فاقيمت امه على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدة ولما مات عادت الملكة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشده .

(٢٣) كان الغرش عندئذ يعادل الدينار ecu قيمة .

(٢٤) جكتريه أو بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن .

(٢٥) لا نعرف شيئا عن هذا الشماس ونظنه درس في مدرسة البروبلغندة (التبشير) .

(٢٦) وبالاسبانية (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال له ايضا وي الري . فعرضت عليه الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انه يعطيني اياها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب . وانا لما نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفراتي رجعت الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاول مثل ما كان وعدني فهناك ايضا جاوبني قائلا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئا ولا عندي دراهم .

ثم اني رجعت مرة اخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليغورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة. ومنها جئت الى سراگوزا ورايت هناك اخا الملك المذكور فاخبرته بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجيء . فشق ذلك عليه وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمه يوسف القتال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصدا بلاد البرتغال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجودا في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (sola Terceira) وذلك لعدم نسله بعد ان ثبتت معه امراته ثلاث سنين . واما هذه الشقية فكانت فرنساوية وزوجها الاول كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI) ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدوا فمع انه جلس في مكانه لكن لم يسموه ملكا لكن امرا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوجها رزق بنتا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلمت معه وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكان هذه البلدة فمنهم اناس اجواد كرماء وكاثوليكيو الايمان . وايضا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوجوا من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلما يتحققون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كووا التي من حكم البرتگال .

٤ ـ اهبة السفر الى امركة :

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقية الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركزا ده لوزوبلس التي ربت الملك عملت لي اكراما عظيما وطلبت من الملك دستورا ان اقدس له فكان معي شماس رومي وكنت علمته يخدم قداسي . فدخلت كنيسة الملك وقدست امامه وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسألني اي شيء اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فاشاروا علي ان اطلب اجازة وامرا قاطعا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب(٢٧) فصعب

(٢٧) كانوا يسمون بلاد امركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقية .

على هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليه وطلبت الامر . لانه لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معه امر من الملك . وكان في ذلك الزمان التونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا البابا ساعدني بنصائح .

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها علي . فلما الامر الذي كنت نازلا عنده في الدار فجهزني بكل ما احتاجه في السفر واعطاني مكاتيب وصية الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجته من الملكة كان وصيتها علي الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقويت بالرب واعتصمت باسمه والدته مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يوما في البر دخلت اليها فرايت مراكب الهند مهيئة ومستعدة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مديري المملكة فقدمت امر الملكة فسجلوه لي واعطوني امرا ثانيا بموجبه .

ولما كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدمت امري مع المكاتيب الى جنرال الفلايين(٢٨) دون نيقلاوس ده كورددوا . فحبني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبه فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الفلايون هو الرئيس على سائر الفلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسا من طائفة الروم مولودا في الينس لاني ما وجدت احدا من ملتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم .

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الفلايين ستة عشر فليونا . فتودعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودق الابواق ونصبوا الاعلام والرايات .

٥ ـ السفر الى امركة الجنوبية :

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح وانس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسماية فرسخ داخل بلاد ينكيدنيا لكي يحضروا من هناك خزنة الملك . وايضا التجار يوسقون الفلايين من كل اجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انسانا غريبا عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجرا ولا كاهنا ان لم يكن معه امر من الملك مثل ما ذكرنا سابقا . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد المجر حيث على عهده فتحوا بلاد الهند . وهذه الفلايين تعود بالفنايم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليونا وكل مليون قدره عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس انيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذي دخل عليه مات في تلك الليلة . فربطوا برجليه جرار مملوة ماء وحدفوه بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكله الحيتان . فلما حدفوه ضربوا له ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهبا مقدم ديوان كيتو (Quito) (٢٩) ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كناريس Canaries (٣٠) من حكم اسبانية ولازلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركبا انكليزيا موسوقا من العبيد السود عددهم سبعماية نفس قد جلبوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند .

٦ ـ الوصول الى امركة :

وفي اليوم الرابع(٣١) كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتامل النواخذة(٣٢) في الماء . فلما نظروا لونها متغيرا علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانه ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقداره اربعين فرسخا ولانحداره وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيه نحو اربعين فرسخا . ثم الى هذا الحد تتخلط ماءه في البحر ولا يوجد مثله نهر في الدنيا(٣٣) ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكاس (Caracas) (٣٤) ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتة (Margueríte) (٣٥) من حكم اسبانية . وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صدف اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فلات يوم بينما كانوا يستخرجونه نظروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونه في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونه الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاكبيرا غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غدا يكون على اسم العذراء وايضا غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوه احسن وابلغ من الاول . فغمسوا كذلك وقالوا نهار غد نفي نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئا ابدا والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤا في ذلك البحر .

---

(٢٨) جمع فليون اي السفن (Galion)

(٢٩) عاصمة بلاد الاكوادور او خط الاستواء .

(٣٠) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش .

(٣١) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس .

(٣٢) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملاك السفينة او رئيسها .

(٣٣) هو نهر الاوريتوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس باعظم من نهر الامازون .

(٣٤) كاراكاس عاصمة بلاد فنيزويلا (Vénézuéla)

(٣٥) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في اواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليه بابر ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلؤ (Las Perlas)

٧ ـ السير حذاء شطوط فنيزويلا :

فنرجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية(٣٦) ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصون (Curaçao) وهي من حكم الاولندیفر (الهولنديين) ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضا ارسل لنا شختورا مالئ فواكه وبوزه لاجل المشروب وضرب لنا من القلمة سبعة مدافع ونحن ايضا رددنا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوگا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولا وعرضا . والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لاجل زوادة(٣٧) . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركبا صغيرا فرنساويا . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانيا وفرنسة ونحن كنا سبعة عشر غليونا . ولما رأى الفرنساوية اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغا فاخذت مركبنا المركب فرايناه موسوقا زلاحف مملحة . واما الناس الذين هربوا وخلوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة اميال فزاحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركبا بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من اعدائهم .

٨ ـ وصف قرطجنة :

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène)(٣٨) وكان السفر الذي سافرناه سعيدا لاننا بخمسة وخمسين يوما دخلنا الى هذه الاسكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يوم البر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا . وايضا تشرفنا بالزيارات المقامة يومئذ لآلام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جدا وديوان من ديوانات الملك وكناتس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزا عظيما واكراما جزيلا . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوما حتى جاءت المكاتيب مع الاولاق(٣٨) من بلدة ليما التي هي تخت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتوبلو(٣٩) وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين كنطار(٤٠) وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوما . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكره وقنصر(٤١) . وفي ليلة من الليالي طف على الشختورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يزمرون ويطبلون بالدفوف. ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتوبلو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث وسمى في اللسان الهندي بنكثوا . فهذه الدبيبة اذا تغافل عنها الانسان تجوز في جسده ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتصير قدر الحمصة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير ان يفقئوها ويحطونها على بصلة نار فتطق مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفقئوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورم ويفقع ويموت ذلك الانسان(٤٢) وايضا في ذلك البلد يحصل خفاش الليل كبير يجي الى الانسان وهو نايم ويبدا يفصده ويمص دمه ويستغرقه وبجناحه يهوي على ذلك الانسان ليطيب له النوم . ولايزال يفصد ويتقيأ الدم الى ان يفيق الانسان نصف قشيان من كثرة الدم الذي خرج منه(٤٣) . وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوم

---

(٣٦) الجلالية لعلها كلمة (Guérillas) ومعناها العصابات التي تقاتل قتالا غير قانوني .

(٣٧) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي ارضها عندما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣ .

(٣٨) قرطجنة بلدة عظيمة بسكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفأ امركة الجنوبية اليها تاتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزا وبضائع . وقد كانت عندئذ سوقا عاما للرق يأتي النخاسون بالعبيد المساكين من الكونغو والنويان وغيرهما من بلاد افريقية فيبيعونهم بيع المواشي ولذلك سمى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي الغيرة المسيحية على هؤلاء المنكودي الحظ القديس المعظم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحوا من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة فكان لهم ابا حنونا اكتسب منهم الى المسيح عددا لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف ونيف ومات سنة ١٦٥٤ .

(٣٨) اولاق كلمة تركية معناها السعاة .

(٣٩) بورتو بلو وقد كتبها سانحنا مرارا بورتو وبلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضا (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Charge) وهناك ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر .

(٤٠) الكنطار كناية عن عشرة ملايين .

(٤١) قنصر هي كلمة (ancrer) اي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح .

(٤٢) نظنه يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء به الكاتب (اطلب (Traité de Parasitologie du Dr. Moniez p 612) وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضا جلديا شبيها سماه الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتيلا يشابه الحية وزاد ان سكان قرطجنة وبورتو بلو يلقبون انه بالحقيقة حية او دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

(٤٣) هو وصف الخفاش المسمى Vampire

والتجار يبيعون بضائعهم . فلما ادخلوا خزينة الملك الى هذه الاسكلة ارسلني الجنرال حتى اتفرج عليها فرايت شيئا لايحصى من الفضة والذهب .

٩ ــ السفر الى باناما :

ومن بعد ذلك قصدت ان اركب سفينة واتوجه الى بلاد صانتافه(٤٤) التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد فلكن جنرال الفلاين نصحني ومنعني من ذلك قائلا ان في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضا المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرت عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوما خلصنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الفلاين . ومن بعد عشرين يوما وصلنا الى ميناء يسمى سان فيلبه ده بورتو بلو فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبلي الذي يسمى ماريسوريجوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسكر واسقف ودبورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطيفة جدا . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشر فرسخا في جبال وحرش حابين البحرين بحر القبله وبحر الشمال وهذه الارض دوبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزلوا خزينة الملك محملة على بغال الى بورتو بلو وايضا احمال التجار والمسافة دون ثلاثة ايام وياخذون الكروة ثلاثين فرشا على كل بغل ويصير موسم التجار اربعين يوما ويتسوقون البضايع التي مع الفلاين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليونا وكل مليون عشر كرات وكل كرة مايه الف غرش . فاما هذه الخزنة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها طايف(٤٩) على ارباب الوظايف والى الجنود الحارسين الجزاير والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفون ايضا على الفلاين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم . وهذا الميناء هو ارض حامية جدا وكثيرة الامراض . ففي تلك السنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقدار الف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والفلاين اخذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموه بيكونيا(٤٦) وايضا كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زايد الجسم(٤٧) فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا الى جزيرة لاوانا(٤٨) وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها .

(٤٤) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

(٤٥) علائف بمعنى رواتب واجور .

(٤٦) صوف التفتيك (بيكونيا) لعله يريد النبات المعروف باسم بينيونيا أو بيكونيا وهو انواع ومنه نوع قطني .

(٤٧) مياتي وصفه .

(٤٨) يريد مدينة لاهافانا(La Havana) عاصمة كوبا (Cuba)

١٠ــ السفر الى باناما :

فاما انا الحقير قصدت مرافقة هؤلاء التجار للبيروه . فاستكريت ثلاثة بغال بتسعين فرشا فاما الحاكم ما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع . فلما يمر عليه رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمص) الانسان . ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنه لا يدقر الهنود العبيد ولا يضرهم . فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلت له لا اصدق ان لم ار بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيه هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رايت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الا وارتفع واعتد ان يجي يلدغني . فخرج الاحمر صاح عليه دونك ياكلب فلما صاح عليه وقع على الارض وانا شاهدت ذلك بعيني(٥٠) . وايضا في هذا الجبل رايت اغصانا ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رايت داخلها حمامة بيضاء بجناحها ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثير من حكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا(٥١) . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكن محجر فمشينا فيه ثلاث ساعات(٥٢) . ومن بعد ذلك صعدنا الى راس جبل لترقد تلك الليلة . وهذا المنزل يسمى بوركارفون . وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمة(٥٣) ولما وصلت الى البلد رايت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة ورايته رجلا قديسا فصار لي معه صداقة عظيمة حتى تخاوينا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمه وانا ايضا اعطيته خاتمي . وهذا الاسقف النبيل كان اسمه دون انطونيو ده ليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يده . وبقيت في هذه البلدة مقدار شهر .

١١ــ من باناما الى غوايا كيل في بلاد البيرو :

ثم ركبت في مركب وسافرنا في بحر القبله الذي يسمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة من الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفت برفقتنا في المركب رجلا خيرا يدعى فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال

(٤٩) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا وحلات معاصريه ونقرنا في كتب العلم فلم نر اثباتا لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة اراد بها الحاكم ان يمنع سائحنا عن السفر اللهم ان لم نأول كلامه فنعزوه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدوي كدوي اطلاق بارودة .

(٥٠) لعلها الزهرة المسماة (Polygala) مع المبالغة في وصفها .

(٥١) هو نهر شاغر (Chagre)

(٥٢) اغار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها واحرقوها فأعاد الاسبانيون اعمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة .

لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هـو صهري فطاوعته ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهـذا الكلك هو خمسة خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء فخبطت وتعلقت بالكلك بتلك المكازة التي كان اعطاني ايلعـه السقف . وهكذا اعانني الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة وسكنا هنا ثلاثـة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكـورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضا يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كورگونـا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه امر عسير الى وقت ما تاتيه ريح عاصفة تخرجه من هناك والا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شـدة امواجه يسمى البحر العجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيـه مفقود والخارج منه مولود فلولا عناية الله الذي عاتنا حتى اننا خلصنا من شر امواجه فيقينا على وجه الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل (سمه فوصلنا الى مينا يسمى سانتا ايلينا (Hélène) يعني قديسة هيلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كرماء رايحين ليحكموا كل واحـد في منصبه . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوف من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيـم لبعد الدرب .

حينئذ اخبروني في هذا الميناء عن رجل من الهنود عمـره مائة وخمسون سنة فقصدت ان اروح ازوره فنظرته صحيـح الجسم عتيق الايام . فابتدى يحكي لنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغـارة كبيرة وهناك مدفونون اناس من الجبابرة وايضا اخبرني بـان والده كان حكى له ان لما وصلت مراكب السبنيولية الى تـلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا راوا مركبا . ولما كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيهـا كانوا يظنون ان الفرس وراكبها شقفة واحدة . ثم اني لما سمعت عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجبابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عيانا فاخذت معي رفقاء من الهنود التي عشر نفرا مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظـر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فصبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلا في يده الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلت حيث موضوعة العظام فنظرتها تخينة واما الجماجم فهي كبيرة جدا فقمت قلعت من احدى الجماجم سنا اي فرسا كان هذا قد كبره حتى انه كان يزن مائة مثقال لثقله . وايضا تاملت في عظم الساق وقست احدها فكان طوله خمسة اشبار . ففي بعض البلاد عمل احد المصورين قياسا وتخمينا لهذا الجسم فوجـد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرا . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جدا مما نظرنا وانا اخذت معي الفرس المذكور(٥٣) .

(٥٣) ذكر مرارا السائحون في بيرو عظام الجبابرة القدم . قال كورنال من معاصري رحالتنا في سفرته الى ضـواحي غوايا كيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان قوما من الجبابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء وابادهـم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها حريقا » وذكر غيره انه قاس سنا فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا . لكنهـا عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية .

١٢ـ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caiman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلا وخرجنا مع الهند قاصدين كورة وايا كيل (Guayaquil) وهي ايضـا ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حـرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنـين يسمى قيمان كالتمساح وفمه واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسده خمسة اذرع . هذا اذا صادف انسانا يبتلعه في الحياة ولكن الانسان الميت لا ياكله فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انسانا ام حيوانا بالحياة يبتلعه ويركض على يديه ورجليه كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليه ويسحبه من مناخيره ويوديه فيجتمـع عليه البعض من هؤلاء الحيوانات ويقطعوه وياكلوه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولا على حفة النهر فيسمع هـذا الحيوان صوتهم فيخرج ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكـلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيمان هو في المكان الذي نبحوا . هكذا يتحايل الكلاب على القيمـان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هذا الحيوان فالاولى هي انهم ياخذون عودا قدره نصف ذراع وراسا العود منحوتـان نحتا رفيعا ويربطون في نصف العود حبلا متينا . وهذا العـود يشوونه ويصقلونه مثل السيف حتى يبقى صلبا مثل الفـولاذ ثم يروح احد الهنود ويجلس كامنا على جانب النهر فلما يخـرج هذا الحيوان وينظر الهندي فيقصد ابتلاعه ويفتح فـاه ليبتلعه حينئذ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكه بيده فلما يقصد ان يطبق فاه ينغرس في فمه من الطرفين وكلما يمضي عليه ينغرس في لحمه ثم يسحبونه بعزم شديد الـى الارض ويجاهدون ان يقلبوه على ظهره ليمنعوه عن المشي حينئذ يقطعونه شقفا . واما الحيلة الثانية التي يصطادونه بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يده حبل وينغطس تحت المـاء ويصل الى هذا القيمان وهو طايف على وجه الماء ويرمي خربوته (كبة) الحبل على نصف ظهره وهو تحت بطنه يحككه لـه وهو لاط الى بينما يرتبط في بطنه بالحبل من نصفه ثم الهندي يسبح هاربا منه لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئا تحت الماء لكن خارج الماء فاذا خرج الهندي من النهر حينئذ يجتمـع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونه وانا نظرت بعيني لما اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحدا من الحيوانات كان قد ابتلع صبيا من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك. وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وامر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوهـا واخذها الخوري فدفنها . وهؤلاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبه على الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فياتي عصفور صغير ويدخل في فمـه ويبدأ ينقر من وسخ اسنانه فيشبع العصفور ويرجع طايـرا والحيوان يطيب له بتنظيف اسنانه .

١٣ـ من غوايا كيل الى كيتو :

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غوايا كيـل المذكورة .

وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولاسيما من رهبان مار عبدالاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابا (Baba) مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منها الچيكولاتا (Chocolat) وهذا الثمر تراه مثل البطيخ متعلقا وملتصقا على جسم الشجرة . فلما يبلغ ويصفر ياخذونه ويقطعونه ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم يبيسونه حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامته يصير مثل العجين ويضيفون اليه من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضا من القرفة والعنبرخام ويجلبونه عجينا ويجعلونه اقراصا وينشفونه بالفيء. ومن هذه الاقراص يظون الچيكولاتا ويشربونها مثل القهوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى ياتون به من هناك ويبيعونه .

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دي سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعا ولكن القصبة اغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهذا القصب يجعلونه صواري اعني غطاء لسقف البيوت والبعض منه ممتلىء ماء ابيض وحلو وانا شربت منه . ثم اني امرت المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون معاونة ويحملها على بغل(٥٤) . وايضا يوجد في هذا الدرب اجناس وحوش كمثل السعدان والميمون الوان واشكال . وايضا من قسم الطيور يوجد الفره التي تتكلم وطير اخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير . لكن ريشه ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كونليو . ومن بعد اربعة فراسخ عدينا على قرية تسمى انبات وايضا يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان(٥٥) (بركان) . ففي احد السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زايد ورماد حتى غطى الجو وما بقي لبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الفيم وحرق كل شيء وجد من الحشائش على وجه الارض وعكر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم ثم . اننا وصلنا الى قرية تسمى نشبت ومنها رحنا الى قرية اخرى تسمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبات من طائفة الكرملتانيين قد بناه رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو . وصرف على عمارته واقامته مايتين وخمسة وعشرين الف غرش . وهذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبدالاحد ارسلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو (Quito) وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تثبيت هذا الرئيس من جنيرالهم الذي في رومية .

١٤ـ كيتو وضواحيها :

ثم اني استقريت في دير رهبان مار عبدالاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد من قدومي ونزولي في الدير فخلى سرايته وجاء سريعا زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت له : « تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا للاقاتي قناقين(٥٦) واتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سرايتك » . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معه وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقا معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنت اوجبه وصرنا اصحابا بالصدق وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنية بالاموال ومزخرفة بالكتاتس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيا جدا لكن عديم الكرم بخيلا في العطاء . واما الماء الذي يشربونه في هذه البلدة فهو عاطل . فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضا سبنيول فبقيت فيها شهرين . واما ذلك الفرس المذكور الذي كنت اخرجته من عظام الجبابرة الذين بمغارة سانتا ايليني فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل علي حتى يريه لبنته . فانا طاوعته كصاحب وسلمته الفرس فلما راته الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مضيعوه (اخفوه) وما عدت وجدته ورمى اسقف البلد حرما حتى يظهروه فما صار ذلك ممكنا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض نزيف الدم ثماني سنين . فلما اضافني الاسقف عنده طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلت له : انا قرات في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم نزيف الدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربت منه سبعة ايام فبرئت من علتها . وايضا رايتهم يصنعون في هذا البلد جوخا مثل جوخ اللوندرا(٥٧ ، لندن) . وايضا حكوا لنا عن جبل عندهم ان منه خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيدا عن الجبل مقدار اربعين فرسخا(٥٨) .

وذكروا لنا ايضا ان من سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبة جدا في الرؤيا . فاخذها الى بيته واخفاها في صندوق له . فلما جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيته . فثالث يوم جاء ايضا ليفلح فوجدها هناك . فعمل كذلك عدة مرار وما امكنه ان يضبطها في بيته . ثم انه اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذ الاسقف واستقبلها باكرام واخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمى كنيسة مريم العذراء چيكوا ه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولما يحدث في هذه البلدة طاعون ياخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد

---

(٥٤) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غواياكيل الى كيتو ووصفه موافق لما قال الكاتب .

(٥٥) هي جبال (Catoqaxi) و(Cargairaso) وفيها قمم بركانية .

(٥٦) قناق (قونق) كلمة تركية معناها نزل السفر او المرحلة بعد قطع السفر .

(٥٧) هو الجوخ العادي المصنوع اولا في لندن ثم في جنوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الموانيء الشرقية في كل سنة نحوا من خمسة عشر الف قطعة او نوبا لمن القطعة او الثوب مايتا فرنك. اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

(٥٨) هو جبل بيشنشا pichincha وقد انفجر انفجارا مهولا سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي .

كيتو فتبقى عندهم تسعة ايام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد . ثم يرجعونها ايضا بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة .

وايضا ذكروا لنا ان خارجا عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخا نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملا مخلوطا بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيه النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويغربلون النهر ويعزلونه من الذهب فانا نويت ان ابصره بعيني. فاشار علي اناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جدا لاجل ذلك قصرت السير اليه لكني اشتريت من ذلك الذهب في بلد كيتو .

ثم اني بعدما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجت قاصدا قرية تسمى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (٥٩)وتجد سكان هذه القرية عديمي اللون مورمي البطون وذكروا ان في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد فيه غير ظل الاشجار والشمس دائمة لا تغيب . وايضا ذكروا لنا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخا يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة . ولكن مايوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيء من هند الشرق لانه حاد يحرق والهنود لا يريدون ان يكتشف عليه السبنيول حتى لا ياخذوا بلادهم . وايضا ذكروا لنا انه يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونه وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونه الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونه للانكليز والاولندیز ولا للسبنيولية . وايضا في تلك الكورة دائما صواعق وامطار شديدة .

١٥ــ من كيتو الى كوانكا ــ وصف عيد الثور :

ومن هناك رجعت الى بلد كيتو ومنها خرجت قاصدا القرية لاتاكونكا (La Tacunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو . ومنها الى بلد تسمى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس وانامسها اغنياء واشراف فنزلت في دير مار عبدالاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام . وقدمت هناك . وعوائد قداس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قداسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قداسي(٦٠) وانا بعد ذلك بقيت هناك ثمانية ايام . ثم خرجت قاصدا بلدة تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة ايام وصلنا اليها وكان دربنا جبالا وتلوجا وتسمى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدة البرد الذي هناك . ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها واتحدروا الى ان وصلوا الى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحملين قللا من اليشائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل . ثم ان الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصا من ذهب . فاتى اهل القفل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم .

واما انا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفا وبقيت مطروحا في الفراش عشرة ايام معالجا من الاطباء . لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية . وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانه كان رفيقنا في المركب لما سافرنا من اسبانية فاراد ان يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمونه في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع : اولا يحوطون ساحة برفوف وخشب ثم يضعون خوانات شبيا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة . وبعد ذلك ياتون الى تلك الساحة بثور من الثيران البرية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجونا . فعندما يفلتونه على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعا وما ينظر له دربا ينفذ منه . فبعد ذلك يدخل اليه خيال وفي يده رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليه فيهرب منه وبعد ذلك يقتل الثور . والثور ايضا بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونه ، وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوه في موسمه كل عام .

١٦ــ معادن الذهب :

ومن بعد ذلك خرجت من هناك قاصدا قرية تسمى خاوخا(٦١) فسرنا في صعوبة الامطار ليلا مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوما وليلة من شدة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجت منها قاصدا الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة ايام . ووصلت الى تلك القرية المذكورة وهي على راس جبل وحولها المعادن الذهبية . فنظرت جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . اولا يطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منه الذهب بتصويله في الماء . ثم يذوبونه ويسكبونه اقراصا . وانا اشتريت من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة ايام اردت ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو احسن من دربك لكنه درب قفر خال من الناس والقرى فتحتاج ان تاخذ معك زوادة كفاية خمسة ايام . فوقفت لشوره وطمت لقوله وحملت معي ما احتاج من الزوادة واخذت معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امه هندية وابوه اسبنيولي .

١٧ــ اسفار واخطار :

ثم سرنا في درب عاطل بين الجبال يوما وليلة . فاراد الشيطان ان يطفي ذلك المكاري المستيسو لانه كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيته على يد خادمي فاخذت منه السلاح وبقيت متحذرا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمى باسيليكا والثانية جونجوناما

---

(٥٩) معنى لينيا الخط يريد به خط الاستواء .

(٦٠) لرهبان مار عبدالاحد (الدومنيكان) بعض طقوس قديمة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لاتزال مرعية عندهم الى ايامنا .

(٦١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخرائط لوخا (Loja)

والثالثة واكاتاما فلما نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة اما انك نبي او قديس . وفسوسهم ايضا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانا لاجل اني كنت رجلا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزت تلك البلاد .

ثم ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمى طايبه (Amotapé) فبينما ذاك ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورا وتدبيرا على قتلي وانا كان معي صبي صغير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشا الي وفيقني واعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بقل من البغال وظل هاربا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض خلفه طول الليل ورجع به عند طلوع الشمس . فذلك الوقت اخذت منهما اسلحتهما لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما اخذت السيف بيدي وناديت المستيسو وقلت له : ابرك(٦٢) على ركبتيك واصدقني كيف طفاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فالمر معترفا وطالبا مني ان اغفر له واسامحه . ثم بعد خمسة ايام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثم اني حكيت له عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاك من شرهم لان اخي هكذا قتلوه في هذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر سمى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زائد وهو كنهر الدجلة . فذاك اليوم جزت هذا النهر ووصلت الى بلد يسمى كـــولان (Ville de Colan) كله هنود . ثم نزلت في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدس ثاني يوم وكل النذر الذي يقدم للخوري يكون لي انا . فقدســت ثاني يوم وحضر جميع الهنود قداسي وكان عددهم اربعة الاف نفر . وبعد خلوص القداس جلست على كرسي وعملت بركة اعني خبزا مباركا . فبقي الناس يجيئون يبوسون يدي ويأخذون البركة ويرمـون النذر في الصينية . فبعد خلوص ذلك نظرت اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشا .

١٨ـ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبت الى حاكم بلد بيوره ان يرســل لي تختروان الذي يسمى بلسان السبنيولي ليتيرا(٦٣) لان هــذا الحاكم كان مرافقنا من اسبانية مع عياله . ففي حال وصــول مكتوبي اليه ارسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحل النهر يسمى بايتا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمى بيوره درب اربعة عشر فرسخا . فنزلت في دار الحــاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسـبانيولية مع هنود اغنياء وبها كتاتس مزخرفة ومحتشمة .

---

(٦٢) اي اجلس وهي كلمة حلبية .

(٦٣) Litera وبالفرنسوية Litière وتختروان كلمة فارسية مركبة من لفظتين معناها سرير السفر .

وذكروا لنا ان من مدة خمس عشرة سنة كان رجل مــن اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيا وما له ســوى بنت واحدة . فيوما من الايام سافر ابوها الى غير بلد . فالبنــت المذكورة نظرت رجلا لابسا ثيابا حقيرة فقالت له : ما بالك لابسا هذه الثياب الدنية . فاجابها قائلا : لشدة فقري وعازتي . فاجابته قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخــيرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعدتــه هذه البنت ان لما يحين الليل يجيء ينتظرها في المكان الفلاني فتاخذه الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثم انها اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادته الى المغارة المذكورة كضرير . فلما وصلا الى المغارة حملته من اقراص الذهب على قدر ما يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيه واطلقته بسبيله . فلما جاء ابوها من سفره قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلــك الكشف صار من بنته فسقاها سما وماتت وهو ايضا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها .

١٩ـ من بايتا الى طروخيليو :

وبعد ان مكثت هناك عشرة ايام خرجت قاصدا قريــة تسمى ليلموا فسرنا في درب مقفر عديم الماء وكله رمل مثل ارض مصر وكل اهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقية نصارى من خوفهــم . وثاني يوم خرجت قاصدا بلدة للهنود تسمى لمبايك(Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية . فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى داره وطلب مني ان اقدس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسان السبنيولي . فقدست نهار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيسا ومقدار ثلاثة الاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثيــاب وكانوا كلهم يكرموني ويتبادركون مني لاني وهبت لهم مســابع وصلبانا من القدس . ثم بعد خمسة ايام خرجت من هناك قاصدا بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنــود واسبنيولي . وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنــت اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروانا.

فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضل البغال عن الــدرب ودخلت في الحرش بين الاشــجار وهذا الحرش داخلــه عظيم لا له اول ولا آخر . فلما فقت على ذلك امرت خدامي ان ننزل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لاخرين . فلما صار الصبح قلت للمكاري الهندي ان يعمل نارا كثيرة ودخانــا عظيما . فاما رفقائنا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلما نظــروا اننا تعوقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسا ليفتشــوا علينا . فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عاليــة وينشر علما ابيض يعني بيرقا فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فراونا هناك على نيشان ذلك البــيرق واغتاظوا على المكاري كيف انه حاد عن الدرب . واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جدا قدر الرمان وحبه قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويــلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح ياخذ قطنا على قــدر حاجته . وينسجون منه ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمة فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنه اسـبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيت هناك اربعة ايام بعــز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثم خرجت من هنــاك

قاصدا بلدا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة ايام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنت قد اخذت معي ما اعتاز اليه من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلة يدك(٦٤) لما يكون الوقت بروده كنت اركب عليهـا واذا وغلت وتعبت من الركب كنت ادخل الى التخترون . فجزت الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليا . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنة مار اينياسيوس اليسوعية وايضا قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائما يحكم في تشرين الاول . فرحت قدست هناك فكانت الكنيسة ملانة من الناس فانشرحوا كثيرا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان انعم علي بها سيدنا البابا . وكان نيشانه وختمه مرسوما عليها . وكان الناس ياتون ويتباركون منها .

٢٠ـ سفر الى ليما :

فمن بعد ان بقيت في هذه البلدة عشرة ايام رجعت قاصدا بلد خامار (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتله الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجت من هذا البلد قاصدا بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلت من الجبل قاصدا البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما له مجاز فيجوزونه بشدة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئا للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكا فيجمعون قرعات يابسات ويربطونهـا ببعضها مثل كلك ثم يجعلون عليها خشبا وفوق الخشب حشيشا مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعه سباحة بالماء . فجزنا هـذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدته مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة له يـد . فالاول كان جنديا وانقطعت يده بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغته حية في يده فقطعوها له .

٢١ـ الاقامة في ليما :

فمن بعد ثمانية ايام وصلنا الى مدينـة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانه كان صاحبي من اسبانية . وكنت دينته الف واربعماية غرش في مدينة بورتوبيلو فاعطاني فائدة عن كل مايـة غرش اربعين غرشا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البـلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحت قابلت الوزير وقدمت له امر الملك ومكاتيب الوصية التي احضرتها معي من اسـبانية . وهذا الوزير كان رجلا مباركا اسمه دون بغدسار ويلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماركاون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انه يساعدني في جميع الذي اعتازه . ثم اني دخلت زرت امراته فاقتبلتني ايضا بالاكرام . وهذا الوزير المبـارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رزق ولدا وسناتي بعـد هذا بحكايته . ثم اني رجعت فزرت كبير الكهنة الذي يسـمى ارشيديافون مع جملة ارفاقه الكهنة لما كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسـي خاليا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسـين الف فرش وتحت يده مائة وعشرون خوريا وكانوا منتظريـن المطران الجديد الذي كان آتيا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوما وقعت مريضا في الفراش بمرض شـديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعـد عشرين يوما بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمت ورحـت عند الوزير وتلاقيت معه ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولما كنت مريضا كان يرسل عندي خزندارة يزورني مع احمـال من الحلاويات الفاخرة وكان يسال عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انه يقـدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقا . فلما امتحنوا صنعته وجدوها اختراعا كاذبا . وانا كنت حاضـرا ونظرت ذلك عيانا .

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان احد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانـوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لما يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاواتهم. وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسـمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليـع لحـذف الحجارة . الحجارة . وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيـوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبته في في صدره يحملون عليـه ويأكلون لحمه لكنه ما يسافر بعيدا . وكل يوم قناقه اربعـة فراسخ لا غير فلما يتعب ينام ويزبد ويتفل على أصحابه . وهؤلاء الهنود لما كان يموت احد منهم كانوا يصنعون له قبرا عاليا عـلو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبره آلة صنعته مع شربة من خمر الذرة .

٢٢ـ وصف ليما :

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزيـر وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند . وكتب الى جمـلة البلاد والقرى التي تحت حكمه يوصيهم علي بالاكرام . وفي ليما عدة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثـة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة(٦٥) . وايضا اربعة ديورة لراهبـات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنـا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستـانا كبيرا على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار انداوس وكانوا يعزموني لاقدس في الكنايس والديورة ويكرموني غايـة الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديـوان الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باليستا ديلاكانترا يعني

---

(٦٤) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة (احتياط) .

(٦٥) مبالغة او خطأ من الناقل .

يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلا كاهنا وما اراد ان اصرف شيئا على المأكول والمشروب . وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشا ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زادني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabildo) (٦٦) يعني ديوان الكنيسة من حيث اخنوني في الرفقة الى الكنيسة بالزيح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيديالون الذي بجانب كرسي المطران اكراما لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداسا باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديوانا بآياتهم (مع بعضهم) وارسلوا الي الف غرش وكذلك ايضا في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون الي شيئا كثيرا وانا كان لي عجلة يعني عرباني(٦٧) باربعة بغال مع عبد اسود خادمها .

٢٣ـ السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازة من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فاعطاني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحت حكمه وصية علي بان يعزوني ويكرموني وارسل رفيقا رجلا من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهيىء لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية . فخرجنا من ليما وهذا الرجل يرافقني فاصدين بلدة تسمى خوان كاباليكا (Guancavalica) ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدا . فابتدات تتغير امزجتنا وتقيأنا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجزنا عاجلا الى ارض باردة . ثم بعدما صعدنا الى اعلى الجبل سرنا من مكان يسمى بونادو برياكاكا يعني زمهرير السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يقال له بروبنسيال (Provincial) فسالني عن الدرب فحكيت له ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب آخر . ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمى نهر بوني وعليه جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار ففتنا عليه بصعوبة واخذوا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر . ومن بعد عشرة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية . وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاثة مرات في النهار ووقت العصر دائما تمطر . وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيه معدن حجر الزيبق لانه مسلط على البلد .

٢٤ـ معادن الزئبق :

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرايت هذا المعدن وعلمته ونظرت ايضا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم اروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضه ابخاشا (تقوبا) ملصوقة

(٦٦) وبلافرنسية (Chapítre) اي الفرع .
(٦٧) اي مركبة .

بعضها موضوعا في كل منها برنج(٦٨) والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفا صفوفا ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران . فيضعون حجارة الزيبق بصنعة مصطفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضا يضعون الحجارة على البرانج. وهذا البيت له سقف مغطى لكن قوي عالي وفيه ابخاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون به النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قوية ويجري منها الزيبق هاربا ومنحدرا داخل تلك البرامج . فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدئون النار ويخلونه يوما وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونه (يلقونه) خارجا ويطالعون الزيبق من تلك البرانج . وهناك وكيل من جانب الملك يضبطه للملك . وهو يوفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشا حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري(٦٩) ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشا لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك ايضا . ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم(٧٠) وقدم لي اصحاب المعادن بشكاس(٧١) مقدار خمسين قنطار من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور . فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلا ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونه لكن عليه يسق(٧٢) من الملك ان لا احد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زيبقا ولا احد يقدر يشتريه . وان تجاوز احد هذا الشرط ينهبوا ماله ويحل عليه القتل .

٢٥ـ مياه محجرة ـ وصف الصنبر :

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونه اسمر يجعلونه في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذ ويصير حجرا يعمرون به البيوت وانا نظرت ذلك عيانا . واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يوما فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حاله خشبة وانا اهداني احد رهبان اليسوعية صليبا من هذا الجنس(٧٣) .

(٦٨) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنها بمعنى الخابية والبرنية .
(٦٩) الخندكار لفظة ممالة بالفارسية معناها السلطان .
(٧٠) قرانا في كتب الاب فوليه (Feuillée) المرسل الفرنسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفا مسهبا لهذه المناجم قال : ان مناجم الزيبق الشهير في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكافاليكا (Guancavalica) وهي ممتدة تحت الجبل حفر فيه منازل ودروب ومعبد . والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع . ثم وصف استخراج المعدن وصفا لا يكاد يفترق عما جاء في متن رحلتنا سوى انه قال ان سعر القنطار ثمانين غرشا .
(٧١) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة ان معناها الهدية او البخشيش .
(٧٢) يسق كلمة تركية معناها مانع او محظور .
(٧٣) ذكر الاب فوليه المذكور هذه المياه المحجرة قال : ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجه وينحجر سريعا اذا ما سال في الحقول . ومن حجارة بني البنازون

وبعد عشرة ايام خرجت من هذه البلد وصحبتي اربعة عشر رجلا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وانا اخذت دربي قاصدا بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس واكثرها اشجار يسمونها توكال اوراقها سماك كفين وما لها اغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن اصلب وداخله حاو كطعم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيده الا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتلىء منه البرد والجبال في ذلك الاقليم(٧٤) .

٢٦ـ الوصول الى اكوامانكا :

ثم بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلا صالحا وكان قد ارسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان اسقف غني جدا لانه كان اولا رئيسا لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استقريت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي . فثاني يوم باكرا رحت انا زرته فقام هو ايضا بنفسه والتقاني وسالني عن حالي وعزمني الى داره حتى اتغدى ذلك اليوم معه فطاوعته وتغديت معه . ومن بعد المأكول انعم عليء بجنزير ذهب يسوي مايتي غرش . فلما سمع اكابر البلد بالاكرام الذي عمله لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني . ومن بعد اربعة ايام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم واوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف ارسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا اسماء الذين زاروني واحدا واحدا . وفي هذه البلدة كناس وديورة غنية جدا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية ايام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميدية يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان ايليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميدية هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف اعطى خاتمه لعروسته وشق الحيط وطلع راح يسوح في الدنيا(٧٥) . فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوما في غاية ما يكون من الانشراح .

٢٧ـ السفر الى كوسكو :

ثم خرجت من هناك قاصدا بلد كوسكو (Cusco) وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائه وغير اصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظليت (ظللت) مسافرا . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريما (Aperimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضه ذراع اقل ام ازيد وطوله عشرين ذراعا . فجزناه بصناعة عظيمة مع خوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن الابغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الاخر واحدا بعد واحد . واما البغال فيزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذ يخلون رؤوس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجح وينهز كالهد لما يدوس الانسان عليه فلما حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالما . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناسا من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر ايل وبغال وحمير وغير اجناس اخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيوان قوي انيس لما ينظر انانا او دوابا مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وانا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضا من هذه الحيوانات ولحمها لا ياكله غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منه البرانيط اي الشبقات وهو شبه التفتيك(٧٦) لكن لونه عسلي كلون الغزال(٧٧) وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كليتيه . فيخرجونه ويبيعونه بثمن غال لانه نافع للسموم(٧٨) .

٢٨ـ السفر الى ابانكاى (Abancay)

وبعد ثلاثة ايام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها

المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون ونقاشو التماثيل اذا ارادوا نقش تمثال فاذا ما اتموا القالب وسكبوا فيه الماء جاء التمثال حجرا بديعا ينحتونه قليلا زيادة في لمانه .

(٧٤) هو وصف شجرة الصبير المعروفة .

(٧٥) اخبار مار ريشا المشهورة .

(٧٦) الشبقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) اما التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم .

(٧٧) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمى (la Visuna) او (le Guanaco) في كثير من الاسفار الامركية وكانوا يستخدمونه لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها .

(٧٨) البازهر او البازهر كلمة فارسية معناها الترياق (من پاو ـ نظف . وزهر ـ سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين اطباء العرب وامتدت شهرته مع اسمه الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية او (Bezoard) بالافرنسية . قال التيفاشي : هذا الحجر بأيدي الناس صنفان احدهما حيواني والآخر معدني ومعدنه بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منه حجارة كبار وهو حجر رخو ابيض الحكاكة . واما الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش اصفر منقط نقطا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحل سريعا اذا حك ومحكه الى البياض واعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى به من بلاد فارس من نخوم الصين والحيوان الذي يوجد فيه البازهر هو الابل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي اصله في لغة الفرس باكزهر اي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات باجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت .. الخ . وقد اعتبر في القرون الماضية كاعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم .

كل سنة ثلاثين الف خندكاري من السكر . والفلاحين الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر .

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمى وازاواليا انيكا اخو الملك واسارينكا المذكور فلما وصلنا قريبا من البلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي واخلوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديما قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانه قدر نصف بلد . ودير الراهبات ايضا هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجارين الحديدية . وهي مشغولة بغاية الرستاق(٧٩) .

وسكان هذه البلدة يومئذ اربعة آلاف بيت سبنيوليين وثلاثة آلاف بيت هنود ولهم اسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل اولاد السبنيولية ومدرسة اخرى بناهما اليسوعية لاجل اولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البلد بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين واخلوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصدا اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكني ابيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانيا رفقة . وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوز (تزوج) من بنت اعطته نقدا مايه وخمسين الف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقدا للرجل حسب حالها والاشراف كشرفهم . وفي اليوم الثاني جاء اسقف البلد زارني وجاء ايضا باقي الاشراف ورؤساء الديورة . ومن بعد اربعة ايام خرجت انا واثنان من الرهبان اليسوعية في عربتاي(٨٠) واوفيت زيارتهم .

٢٩- وصف اباتكاي :

ثم طلبوا مني ان اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وايضا اهل الديورة والكناس بقوا يجيئون ياخلوني حتى القدس عندهم وكان عندي شماسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير اماكن وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هدية لائقة وارسل لي ايضا اسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عرباني لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عماير الهنود القدماء . فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقه قبرا مرتفعا جدا بعلو ذراعين وعرضه ذراع ونصف وطوله ثلاثة اذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب .

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جار فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض واهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت ايضا زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانه سقطت منازل كثيرة مع بعضها كنائس .

وفي ذلك الحين جرى امر من ملك اسبانية في عزل الوزير صاحبي المذكور وانا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر العديمة الجاز .

٣٠- هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجها الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة ايام وصلنا اليها وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض اناس مع رهبان مار عبدالاحد وحاكم البلد للاقاتي . فاخلوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانه كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي ستر يعني حدا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية والهنود ياخذون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد ام عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية ويشوونه ياكلونه . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (٨١) . وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى دود مصر (اللدة)(٨٢) ويجعلون من هذه الدود بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العد شديدو القوة وما يقدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شامخة وعليهم امير مدبر وهو الذي يحكم عليهم .

٣١- معادن الفضة :

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجها الى معدن الفضة المسمى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليه . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت امكث هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة . وفيها تفرجنا على اخراج الفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيه الزيبق وطول النهار يحركونه مقدار عشرة ايام او اثني عشر يوما والزيبق يجمع الفضة ويلتصق بها . ومن بعد الايام المذكورة يغسلونه في حوض مجلد بجلود البقر والماء ياخذ التراب ويوديه . والفضة ترسخ (ترسب) الى اسفل . هذه الصنعة تفرجت عليها عيانا

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي له عندهم مقدار ثلاثين سنة . وهذا القسيس غني جدا فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسة

---

(٧٩) الرستاق او الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسية وتاتي في اللغة العامية بمعنى ترتيب ونظام .

(٨٠) او عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة .

(٨١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية اعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال احد الرحلة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانه يجد فيها طعاما وشرابا ودواء .

(٨٢) درر ولعلها ذرة مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في ايامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية .

مايتي الف غرش . ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن آخر يسمى بونو .

٣٢ـ مقتل احد المتمولين ظلما :

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمه دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية ألف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش . فحسده بعض اعدائه واقاموا عليه بهتانا وشهدوا زورا قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكما في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك . فقام الوزير وجاء اليه الى جبل يسمى معادن بونا حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكه واخذه معه الى بلد ليما وشنق من اصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط ايضا المعدن للملك وضبط ايضا الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة آلاف قنطار . وحبسه الوزير في السجن والزموا عليه القتل فطلب من الوزير فقال : اعرضوا أمري الى اسبانية للملك فان امر بقتلي فاقتلوني وان امر باعتاقي فاعتقوني وانا اني جميع ما قريت فيه وها انا في حبسكم مضبوط . فلم يسمع الوزير والديوان لاقواله بل سجلوا عليه القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصه لانه كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين الف غرش وامر الوزير القاسي القلب بخنقه نصف الليل وبعد قتله ارسلوا معلمين ليدلوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلما القوها في النار ظهرت اشارة الله وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عظيما للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منه حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموه . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتله ظلما فبعد خمسة عشر يوما بينما هو داخل الى مخدعه تراءى له ذلك المقتول ظلما كانه واقف على الباب فلما نظره اعتراه الخوف والرجفة ودخل مرتعدا من ذلك المنظر فسالته امراته السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضا وبعد ستة ايام مات وصارت هذه ايضا اعجوبة ثالثة امام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتله انشلت بعد ايام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراته لا توصف وكان ابا للايتام والارامل وشفوفا على الفقراء والمساكين ومفتقدا الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقد البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمره في عمل الخيرات حتى انه في جمعة الآلام ارسل مع اخيه الى بلد الكوسكو سبعين الف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء .

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يقتل بمدة قليلة اقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقه في المركب لما جاء من اسبانية فعرفه عن اقنومه وعرض عليه حال فقره وكثرة عياله . فلما علم ان هذا كان رفيقه تحنن عليه وزعق (دعا) وكيل ماله واعطاه مفاتيح الخزنة وقال له : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركه ياخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلما حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثني عشر بارة(٨٣) وكل بارة تسوى الف وثلاثماية غرش واخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسال الغني وكيل ماله قائلا : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير . فقال له : اثنتي عشرة . فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تاخذ ازيد من هذا العدد . ثم انه استكثر بخيره وانصرف . وله على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان له اخ مختف فلما جاء وزير آخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلما . فصعب ذلك على الملك والديوان لانه كان له نجم سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على اخيه المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وامره ان يرجع يفتح معدن اخيه .

فاما انا ما لحقت ذلك المقتول في أيام حياته لكن تصاحبت مع أخيه الذي يسمى دون كسپار دوسلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مالة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل اصبر هذه السنة حتى ننظف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعا الى اسبانية وهذا صار السبب المانع .

٣٣ـ سبك الفضة :

اما نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدة تسمى جكويت (Chuchuito) وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمى دون اندريس ده برناجيا من بلاد بسكايا . ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبه لجميع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رملية ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك .

٣٤ـ سكان البلاد الاقدمون :

ومن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها ستون فرسخا(٨٤) وذكروا لنا ان الهنود القوا في هذه البحيرة جنزيرا من الذهب كان يخص الملك انيكا المذكور لما قتله السبنيولية وذلك الجنزير كان يحمله اربعة آلاف رجل . وعندما كان يعمل الملك لعبا كانوا يمدون هذا الجنزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجنزير او خارجا عنه كانوا يضحكون عليه . والآن لا يعلم السبنيولية في اي جانب من البحيرة القوه .

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئا بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كفرة يعبدون جبلا منصوبا امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البغال المذكورة ليذبحوها ويأكلوها . فامر هذا الوزير المذكور صاحبي ان يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار اربعة آلاف نفس وعملوا اربعين كلكا وجعلوا فيهم اكياسا مملوة ترابا وايضا بعض اقراس ثم اخذوا في أيديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة

---

(٨٣) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعله أراد البدرة من المال .

(٨٤) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

على الكلك فلما اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا اكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لان هناك وحلا شديدا . فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب ايضا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرا واستاسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة واتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من اسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . اما انا فبقيت في هذا البلد ثمانية ايام .

٣٥ـ اطلاق سبيل بعض المسجونين ـ معدن مرمر :

ثم خرجت قاصدا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار افسطينوس وفيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوياكاوانا تعمل معجزات عظيمة ياتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصدا قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني اربعة نصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فاعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمه دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام واخلوني الى بيته . فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكي لي قائلا : ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقمت نزلت الى الحبس وفي يدي ورقة كتبت عليها اساميهم وناديت الحباس ان يفتح الباب ففتحه وناديتهم واحدا واحدا الى خارج الحبس واعتقتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك .

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عال به معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا الحاكم ان يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثل قبة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنه توفي قبل ما يكمل عمله .

٣٦ـ المال المجموع ظلما :

وبعد ثمانية ايام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصدا بلدا يسمى سيكاسيك (Sicasica) وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت دينته الفي فرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر. ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ اربع سنين . فهذا القسيس كان خوريا متفردا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع له اموالا كثيرة من الظلم . فقبل مماته اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلا انه ظهر تحت فرشته خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهبا . وايضا عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثا لاخيه واخته . وانا كنت اعرف اخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واخته تسمى دونيا اينيس . فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه . فبعدما دفنوه الى اصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دما لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلما . فلما علم بذلك مطران البلد ارسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار له اهتمام عظيم عند الناس .

٣٧ـ السفر الى اورورو وبوتوسي :

وانا بعد ثمانية ايام خرجت متوجها الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة ايام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان ياكل الا كروش البقر . وخارجا عن هذه البلاد ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جدا لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد اصلح من هذه الفضة . ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية ايام سافرت قاصدا بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا اول مرحلة في قرية هنود وكان عندي امر ان يعطوني بغالا من قرية الى قرية وكنت اغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولته الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب لترحل . فارسلت افتش عليه فاتوني به سكران فكنت اكلمه باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن اول ضربة السياط طلب ان يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلا : ان الدواب مربوطة عنده في الدار . فسالته لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ملاقاة السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا .

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منه ماء سخن ورائحة ماء الكبريت ويأتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيه . وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم . واسم هذا المكان طارابابا . ومن بعد ستة ايام وصلنا الى بلدة برتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجا عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جملته واستقبلني بغاية الاكرام . وهذا الحاكم هو من اقرباء امرأة الوزير اوصاه بي في مكاتيبه . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض اناس زاروني وانا ايضا رحت زرتهم .

٣٨ـ زيارة السكنخانة ومعدن الفضة :

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيه سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت السكنخانة اربعون عبدا يشتغلون واثنا عشر رجلا اسبنيوليا فرأينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والانصاف في جانب وانصاف الارباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة له .

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا لزيادة غناه لان قد اخرجوا منه اموالا لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عاما من اربعة اطرافه وقد

احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفله ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندا من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانه من خارج يبان صحيحا لكنه فارغ من داخل . ويشتغل في باطنه في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لانهم اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنه وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجالا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرض حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم . ولما يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن .

٣٩ـ وصف استخراج الفضة :

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلا ونهارا ما عدا ايام الاحاد والاعياد وبعدما يطحنون الحجارة ناعما ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطارا ويجعلونه كومة ثم يجبلونه بالماء مثل ما ذكرنا سابقا ويضيفون اليه الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونه ويحركونه بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقا ازيد فيطعمونه حتى يكمل . فان كانت طبيعته باردة فيخلطون فيه نحاسا حتى يسخن وان كانت طبيعته سخنة فيضيفون اليه الرصاص حتى يبرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن ام بارد هو انهم ياخذون منه في شقف فخار ويضعونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيملسه (يدلكه) باصبعه على شقف الفخار المذكور فاذا تفرفط (تفرط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخا ومعتدلا كاملا فيجيء ممتدا على الفخار ومبرقا . ثم يجعلونه في حوض ماء والماء جار عليه يحركونه بالماء بصنعة . فالفضة مع الزيبق يرسخان الى اسفل والتراب ياخذه الماء الى خارج . فلما يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليه وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعا ثم يجعلونه في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق الجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها .

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والده قائلا انه كان لوالده معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموه ويسدوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منه . ففعلوا كما امرهم وسدوه وبدأوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير ناضجة قد تحولت وتبدلت في تلك الايام واستوت كالثمرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم هذا الجبل الفضة مسلط عليه نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة(٨٥) .

ورايت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه لقطع العناتير وكل جمعة يشغل احدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وازيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هيماية متقال باثني عشر غرشا ونصف فلما يسكونها تصير ستة عشر غرشا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورا للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتا كثيرة لكن الناس سلموا . وانا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يوما .

٤٠ـ السفر الى جوكيساكا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجها الى بلدة تسمى جوكر . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيساكا(٨٦) . فاول يوم وصلنا الى مكان فيه حمامات ماء سخن خلقة يخرج من الارض يسميه السبنيولية لوس باتيوس كالينتوس (los Baguos Calientes) فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدبر البلاد . لكنهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران له معبور في كل سنة ماية وعشرين الف غرش وهذا كان سابقا اسقفا على بلدة اكوماناكا المذكورة وكان قد اهدانا هدية في اسقفيته وبعد ذلك انعم الملك عليه واعطاه هذه المطرانية . فثاني يوم رحت قابلته فاكرمني اكراما زايدا . واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضا بواسطة الوزير صاحبي لانه كان صديقه وكان يسمى دون برتلماوس ده بلويدا . فارسل من قبله رجلا ليزورني . وجاء ايضا من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام .

وبعد اثني عشر يوما طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء كان انعم علي بها البابا لكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سرايته واهداني هدية ازيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان رؤساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء امر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما ويباشر محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي .

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح ازورها وان كنت اعلم بشيء من احوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض اجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهما من رماد العقاريق(٨٧) فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت ايضا راهبة اخرى في الدير مريضة فارسل الي المطران دستورا حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر ان ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة فبحكمة الله وعنايته طابت وتعافت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا ان يعطوني طوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكنا .

---

(٨٥) هذا من الخرافات القديمة .

(٨٦) وتسمى الان لاباز (La Paz)

(٨٧) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية معناها الضفادع .

٤١- وصف توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان(٨٨) ولهم هناك ديورة . واسقف تلك البلد كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان اروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكز . ويروح في هذا الدرب كلكات البر وينصبون لهم اقلاع فالريح يوديهم . ووعدني ان طاوعته ورحت معه وجبرت في خاطره يعطيني الف بقل . لان المواشي في تلك البلاد شيء كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت عن الرواح معه بسبب طول المسافة . وايضا في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جدا . وهو اكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانه قليلون وفيه ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بونس ايرس (Buenos Aires) وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بونس ايرس المذكورة يزرعون حشيشا يسمى ايربا ديال بابل كواي وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من ذلك الحشيش المذكور مغليا مع سكر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهم فنجانا واحدا ينفعه واذا اراد ان يتقيا يشرب منه اكثر فيدلق جميع ماعنده من المعفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا .

وعن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واسقف . ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار خمسماية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبله وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبلة اسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنرال وهم دائما في حرب مع الهنود والكفرة لان هؤلاء الهنود من قبل ماكانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعدما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا منهم . وما كان لهم اولا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبها . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيولية دائما واذا مسكوا احدا منهم يشوونه ويأكلون لحمه واما الراس فيطلعون جمجمته ويعملونها طاسة ويشربون بها نبيذا من نبيذ بلادهم وهؤلاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون السبنيول وصية من آبائهم واجدادهم الا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية .

فمن بعد خمسة واربعين يوما خرجت من هذه البلدة صحبة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المعزول من ليما ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة . ولما كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (احضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلما وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتها عندي في الصندوق فبقيت متحيرا مع خدامي ورفقائي من هذه العجيبة فلما سمع رئيس دير رهبان الرسه التي تاويلها رهبنة مريم الوهبة طلب مني هذه الصورة فاهديته اياها على ظني انها ترجع ثاني مرة فما رجعت .

(٨٨) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة البارغواي الشهيرة في تاريخ العالم الجديد .

٤٢- الوزير المعزول :

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوه بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانه الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر . وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عمله مطران ليما . ولما انعزل صار المطران عدوا له كبيرا . واما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهند كانوا كتبوا ضده الى الملك والى اخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق .

فبعد وصول المعارض من الهند الى اسبانية حصلت في يد اخي الملك الذي كان عدوا كبيرا للوزير بسبب ان اخا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزله . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف الليل تاهت البغال فنمنا تلك الليلة في شدة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنا الى البلدة المذكورة . فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازته وخلصتني من الغريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كاخ له بعز واكرام فهناك حكوا لي عن هندي له معدن قوي غني وما اكتشف عليه السبنيولية فكان يروح هو وابنه الى المعدن سرا في الليل ويقطعان حجارة الفضة ويأتيان بها الى داره ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انه اعطى حسنة قداس اربعين الف غرش ارسلت وراه ودعوته عندي وقلت له : اخبرني لاجل اي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلدة . فاجابني قائلا : رايت هنودا اقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا اخيرا تحت العذابات . هو هو السبب فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعملونه على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب .

ثم سافرنا في البحر ثمانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما التي تسمى الكليا El-Calhao وهي تبعد عن البلد فرسخين. والفضة الرملية التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي . ثم دخلنا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . واما المطران الموكل على الحكم ضادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسه في داره قائلا : اولا تنفي الوزير الى مكان بعيد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوى الناس فاحضروا الوزير وعرضوا عليه امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لما يعزل حاكم ينفونه الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقا فامر بنفيه الى مايتين فرسخ . فطاع امر الملك وخرج متوجها الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى پاپتا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد فرسخين وبقيت امراته وخدامها خارج ليما فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طالعت في رفقة الوزير مع بعض اصحاب لنودعه الى ميناء الكليا . وهذا الرجل كانت امانته زائدة في العلماء فقال : ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدته القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبه مسافرا ونحن رجعنا الى البلد .

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معه وقلت له : كيف يحل من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو

رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت . فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قايلا : انا مغتاظ على امراته لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان . وكان الوزير لما ودعته امرني ان ادير بالي على بيته وعلى امراته لخوفه من الاعداء ان يسقوها سما وانا بقيت سنة وشهرين مهتما بعائلته .

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلا . فمن بعد ذلك اعطاه دستورا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الآلام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقة اوراقا بان الوزير المعزول تقرر ان ليس عليه ذنب ولا البات بعلة من العلل بل خالص من جميع المصاريف والتزلل . فلما سمع المطران حزن وخزق ثيابه من اله . حينئذ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليما . فخرج للاقاته من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوه الى القرية حيث كانت امراته وصار فرح عظيم عند الاميان وعند اليهود لسبب رجوعه سالما . ومنحه الله بعد رجوعه ولدا ذكرا سماه فرديننذو ديلا كروا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون .

٤٣ـ صداقة السائح للمظلوم :

ولما كان الوزير منفيا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال الي واتركه وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تعتاز . فقلت له : كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبته لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انه معزول والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة السافطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصله وشرف جنسه لا يترك صديقه الاول عند عزلته بل يساعده ويسليه في كربه وضيقته . وانا واقف ايضا في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضا صديقك . فقال لي : اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فمندما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له فقال لي : اذهب اليه وكلمه بكل ما في خاطرك . فرحت اليه وتكلمت معه فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت له : انا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نية ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت له : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي له وانا ما تحبني مثله . فقلت له : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونه وتكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واحبك واحب قريبي . ثم قام من كرسيه وجاء احتضنني قائلا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك واخلاقك تشهد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له ما جرى ففرح وفرحت ايضا امراة الوزير وقالت : الله تعالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك .

٤٤ـ عودة الرحالة من البيروه الى باناما :

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجا عن البلد بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانه كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية . وكنت ايضا في ذلك الزمان اكتب تواريخ سفري . فلما وصلت المراكب جاء معهم وزير جديد . وصار لي في هذه البلاد ست سنوات لسبب صاحبي الوزير المعزول لانه كان وعدني انه يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الى يده . فلما نظرت ان وزيرا جديدا قدم قطعت املي . فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلو ورست هناك امر مطران ليما الذي كان يومئذ متوليا وحاكما على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليما الخزنة على المراكب التي تخص الملك وينحدروا الى بورتو بلو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لما تصل القلايين من اسبانية الى بورتو بلو وتنحدر المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلو على مقدار الف بغل ولا يزالون ينقلونها مدة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخا . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونه بشختورات يسمونها كتاوس (Cintas) موسوقة الى بورتو بلو ويصير الموسم حينئذ مدة اربعين يوما لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء .

فلنرجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم وصار ذلك اليوم عظيما بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمى الكليو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكليو وصلنا في خمسة ايام الى ميناء يسمى بابتاف (Amotape) واشترينا كل ما نعتاز اليه من الزوادة فهناك الدجاجة تسوى غرشا ونصف والفنمة تسوى خمسة قروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة ايام الى مكان في البحر يسمى المورتوخاده (Amortajada) يعني المحنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق وينحدر الماء ويسوق المراكب على انجراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدته الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) تزعجنا وتدفعنا للارض حتى تاملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف(٨٩) . فطار عقلنا وقمنا عموما انتصبنا للصلاة والكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتضرع بتخشع لله ولوالدته مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة وراءنا من بعد لان الهواء كان هادءا والبحر جامدا لما راونا قادمين اليهم بالهواء تعجبوا جدا . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا الينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوما ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملا اثني عشر مليونا من فلما وصل الينا الجنرال امرنا بالخروج من هذه الاسكالة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما باثنين واربعين يوما وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود اسبنيولية جاءوا من ينكي دنيا ليفتشوا على قرصان البحر

---

(٨٩) نظنه اراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلا عن السرياني والمعنى العربي معروف وهو المغارة او البيت المنقور في الجبل .

يعني اللصوص الجلليه(٩٠) الذين في البحر القبلي . فاشار علي صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانه استحى مني بسبب انه ما قدر يعمل معي شيئا من الذي وعدني به واستعد ان يجهزني بكل ما احتاز ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربه

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم ونؤرخ اخبار

سفرتي الى بلاد ينـــكي دنيا(٩١) .

٤٥ـ السفر من باناما . جزيرة سليمان :

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنا في المركب الكبير الذي يسمى قبطانا وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة ايام وملانا ماء وتسوقنا خضرا وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى ريالياخو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينا الريح وبقينا اثني عشر يوما لا يتحرك المركب . وكان ايضا بجانبنا جزيرة اخرى تسمى ايزلاده لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) اعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركبا سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابته ريح مخالفة وبعته في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرون بعض اشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطلعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملا ليملأوا الحوض الذي يطبخون عليه ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطباخ مثل العادة فاراد ان يحرك النار فراى الرمل كالحجر فقلعه فاذا هو قرص ذهب فلما علموا ارادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهم لم يكونوا اكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمى في كتب القدماء ايسلاده سلامون (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بان سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والان السبنيولية ما لهم نشاط واتفاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة(٩٢) وبعد الزمان المذكور سهلت لنا الريح السفر فسافرنا وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى ميناء يسمى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لان هناك يجري نهر ماء حلو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملأ الماء وانا خرجت معهم الى الارض لشدة الحر وابتدات اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي . وهذا النهر عمقه ذراع فقط ورايت رمله مخلوطا بالذهب فاريته رئيس المركب الذي كان مولودا في تلك البلاد فقال لي : لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب . لكن السبنيولية لا يتجراون على المجيء لاستخراجه لسبب الهنود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبال لان في ذلك الصقع يوجد هنود بغير عدد . وفيما نحن راسون حدث علينا اضطراب عظيم في البحر ومن شدة الاضطراب انقطع حبل المرساة مرتين .

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة ايام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة ايام الى ميناء اسمه كلديره (La Caldera) اي ميناء التنجره (الطاجن) فرسينا هناك . فقلت لعسكر المركب ان يحوشوا لي من البحر صفدا فاتوا بتسع صفدات ففتحتها واحدة واحدة لتاكل ما فيها ففتحت واحدة ورايت داخلها حبة لولو قدر الحمصة . فقلت للجنرال : ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونه . فقال لي : هذا ايضا لخوفنا من الهنود الكفرة . وبقينا في الميناء يوما وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطرا سخنا . وبعد خمسة ايام انتهينا قرب جبل يسمى پاپاكايو (Papagio) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري المركب ثلاث شقف فبقينا من القاطنين الرجاء وايسنا من الخلاص لاجل الاضطراب القوي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هدىء البحر وهمدت الريح .

٤٦ـ بلاد نيكاراغا :

وبعد ستة ايام وصلنا الى ميناء ريالياخو (Realejo, Rialexo) ونزلنا الى الارض فبقينا هناك يوما وليلة فكتب الجنرال الى اسقف مدينة ليون (Leon) التي تبعد عن هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمه بقدومي فلما سمع فرح فرحا عظيما لانه لما كنت في باريس كان تصاحب معي وكان له دعوى مع الرهبان في باريس وهو ايضا كان راهبا من طائفة المرسه (Merci) فمن كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليه ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصدا مدينة ليون ولما اقتربت رايت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثم اخذني الى بيته وبقيت عنده ثمانية ايام . وهناك صادفت رجلا صاحبي كنت نظرته وتعارفت معه في ليما . فهذا الرجل المبارك اهداني بغلة جيدة والاسقف ايضا اهداني بغلة اكراما .

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى سلواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويخو (Nostra Senora del Vejo) يعني ضيعة سنتا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لاسيما مع المسافرين في البحر ولما كنا في لجاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقا كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها القدس لها تسعة ايام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوما ووفيت نذري(٩٣) وايضا كنت انتظر سنبكا الذي يسمى كاتوه

---

(٩٠) اي العصابات .

(٩١) يريد بلاد المكسيك اي العالم الجديد .

(٩٢) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحالتنا لكن كثيرين من الكتبة ينفون صدقه سيما بعدما سمت اسبانية سنين طويلة في تحقيقه ولم تبلغ المرام . فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيته اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالته . وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سمى انطوان دى مدينة وغيره من البحارة من البارة في البحث المدقق فذهبت مساعيهم ادراج الرياح . على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانه استجلب منها الذهب اختلاق لم يبن على اساس .

(٩٣) ذكر المؤرخون هذا العبد ووصفوا العبد ووصفوا المعجزات التي تجريها فيه العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو أو الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

(Canoa) وبالفرنساوي (Canot) لنجوز هناك في مضيق البحر وهو نحو اربعة وثلاثين فرسخا . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبر في هذا المضيق لانه مخطر جدا وفيه تغرق سفن كثيرة . لكني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك .

٤٧ــ بلاد سان سلفادور ــ وصف نبات النيل :

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الاخر ونزلت في قرية تسمى امابلا (Amapala) وهي اربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيوليا آتيا من ينكي دنيا وذاهبا للبيرو . فحكى لي انه باع فرسه لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانه كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسه بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية أيام اربعين فرسخا فوصلنا الى قرية هنود تسمى اموشايو . ومن هناك رحلنا وسرنا ثمانية فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى صان ميكابيل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فراسخ الى قرية تسمى زرواكين . ومنها سرنا ستة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى استيبيك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى كوكينبيت . ومنها رحلنا الى قرية صان مرتين (S. Martin) ثمانية فراسخ . ومن هناك الى صان سلوادور (S. Salvador) وفي هذه التخوم يزرعون النيل. وهذا النيل يشبه النخله اي الفصه التي يطعمونها للخيل وكل واحد منهم له مزرعة فيزرعون النيل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامة انسان فيرخص في ينكي دنيا وبعدما يكمل زمان حصاده يحصدون ذلك الحشيش ويرمونه في حوض عظيم فيحمى ويأكل بعضه البعض وفي ذلك الحوض دواليب ليخبطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزبد فياخذون في ايديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونها في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل قروتي والاسفل يعملونه نيل التختة.

٤٨ــ بلاد غواتيمالا :

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالايا وهو خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية تسمى اوبيكو سبعة فراسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فراسخ وهذه القرية يسكنها مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وام سودا وهؤلاء هم سمر لا بيض ولا عبيد . ومن هناك الى قرية اسكلاوس عشرة فراسخ . ومن هناك الى قرية بيتايا اثني عشر فرسخا . ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فراسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عبدالاحد فقبلوني بفرح عظيم . وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) يرأسه واحد يسمى برزيدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضا في هذه البلدة اسقف غني جدا اسمه دون خوان اوتيكا فرحت زوته وجاء هو ايضا زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافه فراح حكى له عن حلة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحا عظيما وامر الذين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفا في خدمة قداسي عندما اقدس . وبقيت في هذه البلدة اربعة وثلاثين يوما معززوا ومكرما من الجميع وقدست في جملة الكنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقة . وكان ايام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية .

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقني اثنان من جواويش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة بميل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وانا سرت مسافرا ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتمالينا بجاكو . ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ . ومن هناك الى قرية باسيما طولوز سبعة فراسخ . ومن هناك الى صان انطون جيشتبك
(St. Antoine de Suchitepec)
اثني عشر فرسخا . وهذه القصبة كان لها حاكم من مدينة سيوليا فاشتكى عليه الهنود الى ديوان واليمالا حتى يعزلوه فقمت انا توسطت له وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكابيل ده اهورتو . وهذا الرجل قوي مسيحي ومحب للكهنة ولما كنت اروح ازوره كان يبرك على ركبتيه ويبوس يدي . وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفونه جيكولاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جدا وقد جعلوا اربعة آلاف غرش رهنا حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يصرفون من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبة . ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فراسخ . ومنها الى قرية صان كريستوفل ثلاثة فراسخ . ثم الى صان فرنسيسكو الالطو ستة فراسخ . ثم الى قرية خولانيلس ستة فراسخ . ثم الى رانجو قرية صان رايمون خمسة فراسخ . ثم الى اكواكتينا انكو فرسخان . ثم الى قرية بيانطو فرسخان . ثم الى قرية كوكومادانس عشرة فراسخ . ثم الى قرية صان مرتين ثلاثة فراسخ ثم الى قرية بيقيطان فرسخان . ثم الى قرية صان انطون برسكين خمسة فراسخ . ثم الى قرية وسيتمنام . ثم الى قرية اسكيتنانكو (Isquintenango) سبعة فراسخ . ثم الى قرية سوسويتانكتو سبعة فراسخ . ثم الى قرية بينولا ثلاثة فراسخ . ثم الى قرية توبيسيا (Teopisca) خمسة فراسخ . ثم الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فراسخ . ثم الى بيلاكانا فرسخان . ثم الى قرية استابا ستة فراسخ . ثم الى خيابا خمسة فراسخ ثم الى بلد جيابا (Chiapa) السبنيول فرسخان .

٤٩ــ بلاد شيابا (Chiapa) ــ رسول السلام :

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمى دون الونصو براوو كان متخاصما مع بروبنسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عبدالاحد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلما نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهم تألمت كثيرا فتكلمت مع الاسقف ومع البروبنسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدس مصمودا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسه قمت انا من الكرسي واخذت معي البروبنسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت له : قال السيد المسيح سلامي اتركه لكم وامرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الخبيثة والحقد ونبدلها بالمحبة والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا . فقام الاسقف رفع يده وبارك عليهما وهو يضحك فقالا : تبارك

اسم الرب هادنا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذ حل حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين الى الغداء فبعدما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور اهداني بغلة جيدة وايضا البروبنسيال اهداني هدية وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسالوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوما سافرت قاصدا قرية تسمى توستا وهي على فرسخين ومنها الى قرية اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثم الى قرية بيانتيك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexico او Mejico) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيمالا (Guatemala) لان حكم واتيمالا قائم وحده .

٥٠ــ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) أو (Mejico) ــ وصف القرمز :

ثم سافرنا الى قرية سانتاليتيبيك التي تبعد ستة فراسخ ثم الى قرية استينيك تسعة فراسخ ومنها الى قرية الفانيتيك ثم الى بلد خلايا وفي هذا البلد كان حاكم يسمى دون خوان بيتيا وهذا كان عمه كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولما سمع بقدومي خرج فرسخين خارج البلد للاقاتي واستقبلني بعز واكرام وانزلني في داره وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوستا اثني عشر فرسخا ثم الى قرية ينخايا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثم الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثم الى بلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية له اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوبا الى اخيه الذي في واخاكا . فلما قربت من هذه البلدة ارسلت له المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد وانزلني في بيت كان هياه لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغا وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لما كان آتيا من الهند الى اسبانية وقع اسيرا في الجزائر فسهل له الله فاعتق وصار رئيسا على قسوس هذه البلدة وكانت لي معه صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمه دون ديونسيو . واما هذه البلدة فهي غنية بالعمائر والكنائس لاسيما دير مار عبدالاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس اخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوق لي بها قرمزا لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقا فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغه يستخرجونه ويضعونه في فرن حام فييبس وينظف . وبعد ذلك يبيعونه .

ومن بعد خمسة عشر يوما خرجت من هذا البلد قاصدا ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ابيتا ومن ابيتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتيك خمسة فراسخ ثم الى قرية صان انطوان فرسخان ثم قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثم الى قرية تبياكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة (La Puebla de los Angelos) ستة فراسخ فجزت الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنية بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمى دون عمانويل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله وله معبود في كل سنة ثمانون الف غرش . وايضا في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان .

٥١ــ وصف مكسيكو :

ثم بعد يومين خرجت متوجها الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخا فوصلت اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب له من بلد واتيمالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعت مريضا وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت له مكتوبا من قريبه الوزير صاحبي الذي كان في البيرو . فبقي يرسل الي حكماءه ليشرفوا علي . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بمحبة ووجه بشوش وعرض علي الوزير ان اسكن عنده في السرايا فاستكثرت بخيره وشكرت فضله على ذلك وما اردت انزل عنده بل استكريت لي بيتا بثلاثمائة وستين غرشا في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشا ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت اولا مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالمطران اعطاني دستورا ان القدس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح القش (اتحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واما هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطرا زائدا فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلات ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبدالاحد وديرين لرهبان اليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرا للراهبات وديرا للرهبان الكرملتانين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس اخر عديدة .

٥٢ــ كنيسة العذراء العجائبية :

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمى وادالوبي (Guadeloupe) وذكروا لنا انه بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمى خوان ديكو دائرا خارج البلد اذ ظهرت له امراة جليلة بهية في غاية الجمال وقالت له اذهب الى مطران البلد وقل له ان يبني لي بيتا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلا مثل مارسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت به . فلما تامل المطران في هذا الهندي وفي حالته الزرية وثيابه الحقيرة امر بطرده فرجع هذا المسكين خائبا ومطرودا الى المكان الذي تكلمت معه تلك السيدة الجليلة . فظهرت له مرة ثانية . في المكان المذكور وقالت له

كقولها الاول ان يرجع الى المطران ويقول له كما امرته فاطاع . وراح ثانية عند المطران وعرض عليه كل ما امرته تلك الست فاحتقره ايضا المطران وامر بتهجيجه وطرده فرجع محزونا ومطرودا الى ذلك المكان . فظهرت له الست ثالث مرة وقالت له : لماذا لم تعمل الذي امرتك به . فاجابها قائلا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليه كل ما امرتني لكن هجبني وما صدقني . فقالت له : امض اليه ثالث مرة وقل له كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذه معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولته الورد وكان غير اوانه . فاخذ ذلك الهندي الورد وجعله في الرداء الذي كان ملتحفا به وقصد بيت المطران فلما نظره الخدام وعرفوه هججوه وطردوه. فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها له . فاعلموا المطران بذلك فامر بدخوله فلما وقف بين يديه قال له : ياسيدي الست ارسلتني اليك ثلاث مرات وتقول لك ان تبني لها بيتا في المكان الفلاني وها قد ارسلت لك هذا الورد حتى تصدق قولي وتتيقن انها هي ارسلتني اليك . فلما رمى الهندي الورد من ردائه ونظر المطران لهذا العجب لانه ما كان زمان الورد وزاد عجبه اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذ جثا المطران على ركبتيه امام هذا الهندي وطلب منه الغفران وعاجلا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائه ثم شلحه المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعه في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيه للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنية جدا بالفضة والذهب والبدلات الثمنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوه من فضة والعواميد التي على المذبح ايضا من فضة فمن حد هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب اه تلك الارض في ايام الصيف لما تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدا المطر من اول شهر ايار الى اخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا .

٥٣ـ هجوم الهراطقة على أسكلة ويراكروس :

وانا فبقيت مرتاحا في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسه انه قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفا في قلوب كثيرين من المذنبين . اما الوزير فانه لما سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معه فما اراد ان يظهر اوامره فعلم الوزير انه كاذب محتال فارسل خلفه جنودا ليحرشوه فوجدوه وامر الوزير بحبسه . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيدا عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوه . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراسا على الابواب وابتداوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيدا نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المركب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء نحو فرسخ وانزلوهم هناك وقالوا لهم اما ان تعتقوا اروحكم او نقتلكم جميعا . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هؤلاء المساكين من جانبهم الى مدينة البويلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فاعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوه من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هؤلاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي له رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين ففتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضه رئيسا على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريته من واخاكا بالف غرش فنهبوه من جملة الاموال . وبينما هؤلاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء ارسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء اولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنيرال بيرقا ليجمع عنده رؤساء كل المراكب ويعملوا ديوانا ويحطوا خطوط اياديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنبا وحده لان مراكبه كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق له مركب او يحترق في المحاربة . فلما ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعه وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعدما اخذ معه ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحية .

٥٤ـ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين :

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيليبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فراوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردوهم من الوثنية الى ايمان المسيح(٩٤) .

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية اشهر لكنه في العودة يرجع بثلاثة اشهر(٩٥) وايضا كل

---

(٩٤) لم يصب مؤرخنا المرمى في تعيينه لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لوبس دي فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملك عليها الاسبانيول الا في سنة ١٥٦٠ـ ١٥٧٠ وقد عرفت مد ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية .

(٩٥) لما توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهند وجزائر الفيليبين .. الخ) اراد التجار في كل من مدن مانيلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معا بطريق البحر

سنة يرفع الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط(٩٦) الى تجار ارمن يسمون جلفاليه(٩٧) ساكنين في هذه الجزيرة ـ وهم اثنان ـ ياخذون مال هذا المركب ويدينونه للسبنيولية لوعدة سنة . ففي كمال السنة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاول ويعطونهم ايضا مثل هذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفالية فقط . وكان لي نية ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي(٩٨) لكن ضدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهبا ليحكم في تلك الجزيرة(٩٩) فطلب مني ان ادينه عشرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : دبر بالك لانه مديون وعليه مائتان الف غرش دينا . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية .

تسهيلا للمواصلات التجارية وتقريبا للمسافات الشاسعة . فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي ما امتازت به من المحصولات والفضة والذهب نقودا وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصاغات وحرائر وافمشة وايازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا ياتون منها كل سنة بخمسين الف زوج . اما مدة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط آذار متتبعا الارياح الموسمية المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهرا فارشدهم احد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر كانون اول كانون الثاني فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك .

(٩٦) نظنه يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاه ابن بطوطة كنبايت وقد وصف مدينة بهذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورط او سورات فهي مدينة حديثة لم يكد يأتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث أصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولندية فروعا مهمة وكان فيها رسالات دينية لليسوعيين وغيرهم .

(٩٧) وربما يريد النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اصفهان بناه شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان أصبحت مدينة مهمة امتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين .

(٩٨) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد عن طريق ايران متتابعة كما جاء مرارا في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وباليت رحالتنا عاد الى بلاده عن طريق الفيليبين والهند والعجم لكانت سفرته غريبة لم يسبقه احد اليها .

(٩٩) الفيليبين جزائر لا جزيرة واحدة .

٥٥ـ اخبار الصين والفيليبين :

وذكروا لنا ان من مدة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعوهم من الوثنية الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيليبيناس (Philippines) فلما نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فعالهم حيلة ولا ملجا غير الدخول الى الكنيسة فصاروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدس وخرجوا بالرياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوة الله وعدالته التي لا تتخلى عن القاصدين اليه باغاثة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركبا . فلما سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابه حزن حزنا عظيما ومن حزنه هلك عاجلا واوصى ابنه الكبير المتولي الحكم بعده ان يهيىء عسكر آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلما اهتم ابنه المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضا ما عرض لوالده ومات فقصم لحزنه . فخلفه اخوه الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيىء عساكر ومراكب فاشارت عليه والدته ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري له ما جرى لابيه واخيه بل الافضل ان يصالحهم ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه . والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلما جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكى لي جميع هذه الامور والمعاجز التي صارت في فيليبيناس . وهذا الرجل صادق بقوله وايضا شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتا صادقا واضعا تلك المصيبة(١٠٠) .

٥٦ـ جزائر ماريان :

ومن مدة خمسين سنة اكتشف ايضا السبنيولية (الاسبان) على جزيرة قريبة من فيليبيناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدي الاصنام فلما ملكوها نصروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امراة الملك فيليبه الرابع (Philippe IV) وام هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie An-ne d'Au-striche) التي هي اخت الامبرادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايزلا ده ماريانس (Marianes) ولما كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيليبيناس وجاء معه راهبان من رهبان مار عبدالاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهؤلاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانية في مركب واحد حينئذ اروني العرض حالات حتى اعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعها قضاة فيليبيناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم من الرهبان اليسوعية وطلب منهم العشور فما اطاعوه ولا ارادوا يؤدوا له ذلك(١٠١) فبسبب هذا احتشوا عليه (قام) قضاة البلد

(١٠٠) لا ندري كيف لخص مؤلفنا هذه الاخبار ونظنه خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان .

(١٠١) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيرا غيرهم من الرهبان

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخا . وهذا المطران كان راهبا من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا ام الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعه القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليبيناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم .

٥٧ــ الرجوع الى أوروبة :

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان اخلني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكررون الاوضة ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايته طلب الف غرش صعب علي لكن فحصبا عني رضيت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديوانا ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى سبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركبا صغير مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوه قبلهم سبيقا الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارة وماءها عاطل وهواها انحس . حينئذ استهميت وركبت في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوه الى اسبانية قاصدا السفر معه الى جزيرة تسمى لاوانا (La Havana) (هافانا) لانها اسكلة الى ثلاثين البيروه والى مراكب ينكي‌دنيا التي يقال لها الفلوت(flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار علي ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفاح لاجل ارمغانات(١٠٢) فاشتريت وعملت بشوره

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوما وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدمت له البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل الذناب الفار واذا تركوه حتى يكبر يتخ ويبيس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيب وانا سها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش(١٠٣) عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات(١٠٤) البربي وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشا وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا الاضراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوما وتشتتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوما المذكورة سهل الله وهمد هجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة الان في الليل يشطون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضا حتى لا يقربوا كثيرا الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس فمن بعد اثني عشر يوما كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جدا حتى في نصف النهار .

٥٨ــ من اسبانية الى روسية :

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي لملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضا مراكب الحرب التي لملك اسبانية راسية قبالهم . فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من المجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا الميناء ورسينا فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك طالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوها ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) اشبيلية لاخلص الفيغرش من قبطان مركب كان تدينها مني ليشتري عازة مركبه . فلما وصل الى كادس يسقوا على المركب واخذوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادعيت فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانه لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درات وهي الفيلة التي تسمى في لسان الفرنجي پاياكاي (بيڤاد) (Perroset) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضا قنديل فضة يساوي الف واربعمائة وخمسين غرشا وصنعته غريبة فقدمته الى سيدنا البابا والى كنيسة المجمع فلما رآه الكردينالية فرحوا فرحا عظيما بطرافة صياغته . وفي ذلك الحين انعم علي سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لاقا لها . والحمد لله الى الابد آمين .

معفون من اداء العشور لرؤساء الابرشيات على اننا قلبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا باربعين سنة فطلب المشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اما بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك بافتراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينو جولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ .. الخ) والثاني ارنان غريزو مطران مانيلا في الفيليبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه انه دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليه من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتينو جولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ .. الخ) .

(١٠٢) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسية الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين .

(١٠٣) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالته واراد بها البخشيش . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر .

(١٠٤) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والمقاقر وغيرها .